جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مناظرتان حول "ماذا"
في الفكر الأندلسي وأثرهما في المعجم العربي
دراسة في ضوء الاستشهاد اللغوي

إعداد

د/ مصطفى أحمد محمد إسماعيل
أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية- محكمة- نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

سورة البقرة الآية: ٣٢

مناظرتان حول (ماذا) في الفكر الأندلسي وأثرهما في المعجم العربي- دراسة في ضوء علم الاستشهاد اللغوي

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

انبثقت فكرة هذا البحث من نص أورده الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) في معجمه الموسوعي تاج العروس عن دلالات (ماذا) وذكر أن أصحاب المعاجم والنحويين لم يذكروا من دلالات ماذا أنها تأتي للتكثير، وأنه وقف وأنه وقف على مناظرة بين اثنين من علماء الأندلس حول دلالة ماذا على التكثير في كتاب نفح الطيب وأنه أورد مائة شاهد على أن ماذا تدل على التكثير، لم يتذكر الزبيدي منها إلا شاهدا واحدا ثم أحال القارئ على الكتاب، فلما رجعت إلى الكتاب وجدت مناظرتين وليست واحدة، وأن الشواهد لا تتعدى الثلاثين وأنها تنوعت بين القرآن والسنة والشعر، وتنوعت بين الشعر الجاهلي وصدر الاسلام وبين الشعر المولد، وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وثبت لأهم المراجع، وثبت للموضوعات، قام المبحث الأول بدراسة دلالة (ماذا)، وشواهد ابن حبيش، وقام المبحث الثاني بدراسة(ماذا) من الناحية التركيبية والشواهد على ذلك، فاستخرت الله لدراسة هاتين المناظرتين وما فيهما من مسائل تتعلق بعلم الاستشهاد اللغوي.

الكلمات المفتاحية: مناظرة، ماذا، ابن حبيش، المولد، علم الاستشهاد اللغوي.

Two debates about (what) in Andalusian thought **and their impact on the Arabic lexicon - a study in the light of linguistic martyrdom**

Mostafa Ahmad Muhammad Ismael
Department of Language Origins, Faculty of Arabic Language in Menoufia, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

Abstract:
The idea of this research emerged from a text cited by Al-Zubaidi (d. 1205 AH) in his encyclopedic dictionary Taj Al-Arous about the meanings of (what), and he mentioned that the owners of dictionaries and grammarians did not mention the indications of what comes to multiply, and that he stood and stood on a debate between two Andalusian scholars about the significance of What about multiplying in the book "Nafh al-Tayyib" and that he mentioned one hundred witnesses that what indicate multiplication, Al-Zubaidi only mentioned one witness from it, then he referred the reader to the book. and poetry, and varied between pre-Islamic poetry and the beginning of Islam, and poetry of the birth ، The research consisted of an introduction, a preface, two chapters and a conclusion, and the most important references were established, and the topics were proven. The first topic studied the significance of (what), and the evidence of Ibn Hobeish, and the second topic studied (what) from a structural point of view and evidence for that .So I made the choice to study these two debates and the issues in them related to the science of linguistic martyrdom.

Keywords: Debate, What, Ibn Hobeish, The Birth, The Science Of Linguistic Martyrdom.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، وبعد:

فقد انبثقت فكرة هذا البحث من نص جاء في معجم تاج العروس للزبيدي(١٢٠٥ هـ)، حيث يقول في سياق حديثه عن دلالات(ماذا):"... **الرَّابعةُ: (مَاذَا)** قَدْ تأْتي بمعْنَى التّكْثيرِ، كَمَا أَثْبَته ابنُ حبيش(١)، واستدلَّ لَهُ بنَحْو **مائَةِ شاهِدٍ** نقَلَها الْمَقّري(ت: ١٠٤١ هـ) (٢) فِي نَفْحِ الطِّيب، وأَغْفَلَها المصنِّفُ(٣) وأَكْثَر النَّحويِّين(٤)، وَلم يَعْلَقْ بذهْنِي مِن تِلْكَ الشواهِدِ إلاَّ قولَ الشاعرِ:

وماذا بمِصْر مِن المُضْحِكَاتِ .....

فراجِعِ الكِتابَ المُذكورَ فإنَّه بَعُدَ عَهْدي بِهِ"(٥)

---

(١) سيأتي التعريف به في البحث.

(٢)الشَّيْخ أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن يحيى بن عبد الرَّحْمَن بن أبي الْعَيْش بن مُحَمَّد أَبُو الْعَبَّاس الْمقري التلمساني، المولد الْمَالِكِي الْمَذْهَب، نزيل فاس ثمَّ الْقَاهِرَة، حَافظ الْمغرب، جاحظ الْبَيَان... وَكَانَ آيَة باهرة فِي علم الْكَلَام وَالتَّفْسِير والْحَدِيث... باهراً فِي الْأَدَب والمحاضرات، وَله المؤلفات الشائعة... والمقري بِفَتْح الْمِيم وَتَشْديد الْقَاف وَآخِرهَا رَاء مُهْملَة، وَقيل بِفَتْح الْمِيم وَسُكُون الْقَاف، لُغَتَانِ أشهرهما، الأولى نِسْبَة إِلَى قَرْيَة من قرى تلمسان وإليها نِسْبَة آبَائِهِ (خلاصة الأثر ٣٠٢/١).

(٣) أي الفيروز آبادي في القاموس المحيط .

(٤) لم أقف على أحد من النحويين ذكر هذه الدلالة .

(٥)تاج العروس(ما)(٥٠٧/٤٠)

❁ أسئلة البحث:

وبعد قراءة هذا النص علق بذهني بعض الأسئلة:

الأول: مُن ابنُ حبيشٍ الذي أتى بمائة شاهد على مسألة غَفَل عنها جمهور اللغويين الذين سبقوه؟

الثاني: أين هذه الشواهد المائة التي أثبتها هذه اللغوي الأندلسي؟ وما مظاهرها؟ وما مدى حجيتها؟

الثالث: كيف أغفل اللغويون دلالة (ماذا) على التكثير مع وجود هذه الشواهد؟

الرابع: هل دلالة (ماذا) على التكثير دلالة وضعية أو دلالة سياقية؟، فإن العرب" قَدْ تَوَسَّعَتِ فَأَخْرَجَتِ الِاسْتِفْهَامَ عَنْ حَقِيقَتِهِ لَمَعَانٍ أَوْ أَشْرَبَتْهُ تِلْكَ الْمَعَانِي"(١)، فقد يعبّر المتكلم عن الكَثْرَة بأسلوب الاستفهام، والأداة المستعملة في هذا غالباً كلمة "كم"، وتخرج حينئذ عن الاستفهام وتسمى "كم" الخبرية التي يُعبَّرُ بها عَنِ الكثرة، وَيمكن أن يستعمل غيرها من الأدوات للدلالة على التكثير(٢)، فهل التكثير من معطيات(ماذا) أو من معطيات التركيب؟

الخامس: هل هناك فرق بين التكثير من خلال أسلوب الاستفهام وأسلوب الخبر؟

السادس: ما إعراب (ماذا) في سياق الدلالة على التكثير؟ وهل يجاب عنها؟

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢٦٨/٣)

(٢)البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م (٢٨٧)

السابع: هل لهاتين المناظرتين أثر في المعجم العربي.

ولما رجعتُ إلى الكتاب الذي أمر الزبيديُّ بالرجوع إليه، وهو كتاب نفح الطيب، وجدت مناظرتين تتعلقان بـ (ماذا)، الأولى تتعلق بها من الناحية الدلالية، والثانية تتعلق بها من الناحية التركيبية، ولم يشر إليها الزبيديّ مع أنه يذكر أمورا نحوية كثيرا في معجمه، وهذه المسألة النحوية مسألة واردة في الاستعمال اللغوي، وأما عن عدد الشواهد فلم تصل إلى ربع هذا العدد الذي ذكره الزبيدي، ولا أدري أهو وهْمٌ منه، أم أنه ذكره على سبيل المبالغة، أو أنه وقف على نسخة أخرى بها هذا العدد من الشواهد خلاف النسخة المطبوعة بأيدينا.

❁ سبب اختيار الموضوع وأهميته:

يرجع سبب اختيار هذا الموضوع إلى:

- ❖ إحالة الزبيدي رحمه الله قارئ معجمه للرجوع إلى كتاب نفح الطيب.
- ❖ مطالعة كيف كانت الحصيلة اللغوية عند أعلام الأندلس في القرن السابع الهجري.
- ❖ محاولة التعرف على هذا العالِم الذي ذكر مائة شاهد في مسألة غفل عنها أصحاب المعاجم.

❁ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- ❖ تأصيل هذه الشواهد وبيان مدى حجيتها.
- ❖ التعرف على هذا العالم اللغوي من خلال حصيلته اللغوية.
- ❖ تأصيل دلالة(ماذا) على التكثير.
- ❖ بيان أهمية كتب التراجم في الدراسات المعجمية.

❁ منهج البحث:

وكان المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي من خلال التوثيق والتحليل.

❁ الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة خصصت هذين المناظرتين بالدارسة، وإن كانت هناك بحوث قامت على دراسة المناظرات اللغوية منها:

القراءات القرآنية في مناظرات النحاة واللغويين: د. زهران طلبة محرم، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م.

المناظرات النحوية والصرفية نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري: د. أسامة رشيد الصفار، دار الكتب العلمية. بيروت.

النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري: د. محمد آدم الزاكي، المكتبة الفيصلية، السعودية ١٩٨٥م.

❁ **خطة البحث**:

قمت بدراسة هاتين المناظرتين في هذا البحث الذي تكون من مقدمة وثلاثة مباحث، **جاء المبحث الأول بعنوان**: (ماذا) قراءة معجمية تركيبية دلالية، **والمبحث الثاني بعنوان**:" دلالة (ماذا) وشواهدها"، **والمبحث الثالث كان بعنوان**:" **(ماذا) بين التقديم والتأخير**"، ثم خاتمة وثبتين أولهما لأهم المصادر والمراجع، وثانيهما للموضوعات.

هذا، وأسأل الله تبارك تعالى أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يسددني في القول والعمل، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨]

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

التمهيد

دلالة الشاهد، والمناظرة، ونص المسألة:

❁ **أولا**: موضوع الشواهد اللغوية من الموضوعات المهمة التي تدارسها علماؤنا القدماء، ومرت بمراحل عديدة وفقا لتصور كل عالم منهم، وكان الهدف من هذه الدراسات الحفاظ على نقاء اللغة العربية من أن يشوبها ما يمكن أن يغير معالمها أو يباعداها عن المنبع سواء في الصوت أو البناء أو الدلالة(١).

والشاهد عند أهل العربية: الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي من التّنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم (٢)، أو هو " **ما يستدل به من القرآن الكريم والحديث الشريف، والكلام العربي المحتج به شعرا ونثرا لتقعيد قاعدة لغوية، أو لبيان مسألة لغوية، تركيبا أو نطقا أو اشتقاقا**"(٣)، وفرقوا بينه وبين المثال، فالمثال "يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصاله إلى فهم المستفيد، كما يقال الفاعل كذا، ومثاله "زيد" في "ضرَبَ زيدٌ"، وهو أعمّ من الشاهد، وهو الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة، يعني أنّ المثال جزئي لموضوع القاعدة يصلح لأن يذكر لإيضاح القاعدة، والشاهد جزئي لموضوع القاعدة يصلح

---

(١) الاستشهاد بشعر المولدين والمعاصرين في المعجم الكبير: د. أحمد بن محمد الضبيب، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد التاسع، السنة الخامسة، جمادى الثاني ١٤٣٠هـ = جوان٢٠٠٩م، ص(٣١)

(٢)كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١٠٠٢/١)

(٣) شواهد التاج: د. عبد العزيز سفر، ندوة تاج العروس، المنعقدة بتاريخ (٩-١٠ فبراير ٢٠٠٢م) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت ٢٠٠٩م، نسخة مجانية توزع مع العدد٣٦٥ من سلسلة المعرفة يوبيو٢٠٠٩م (ص٦٧).

لأن يذكر لإثبات القاعدة"(١)، وفرق أحد المُحدَثين بين **(التمثيل والاحتجاج والاستشهاد)** فذكر أن:

التمثيل: يطلق على النص المصنوع، أو غير المُوثّق، بأن ساقه لغويٌّ عن من لا يحتج بكلامه، غير مُلْزِم، وهدفه الإيضاح والبيان، ويطلق على ما ليس من كلام العرب القدامى.

والاحتجاج: إثبات شيء بدليل نقلي يعود إلى من يصح الاحتجاج به لتوثيق مسألة من المسائل، أو ما يؤتى به من الكلام الفصيح ليشهد بصحة العبارة دلاليا أو نحويا، ومدى موافقتها أو مخالفتها للعرف اللغوي، كما نجد عند ذكر مصطلح الاحتجاج ورود عصر الاحتجاج، ويشار له بعصر الفصاحة، وهو الزمن الذي سبق منتصف القرن الثاني للهجرة في الحضر إلى نهاية القرن الرابع الهجري عند أعراب المدر(٢).

والاستشهاد: جاء بعد وضع القواعد وهو الإتيان بكلمة، أو عبارة مروية، أو ببيت شعري مروي عن العرب الذين يحتج بهم لإثبات قاعدة، أو صحة استخدام ذلك المروي، كالاستشهاد ببيت شاعر من شعراء عصر الاحتجاج على صحة أو فساد عبارة ما(٣).

❁❁❁❁❁

(١) كشاف اصطلاحات الفنون (١٤٤٧/٢)

(٢)المَدَر، مُحرَّكة: قِطَعُ الطِّينِ اليابِس المُتَماسِك، أَو الطِّينُ الَّذِي لَا رَمْلَ فِيهِ، واحدَتُه بهاءٍ، وَمن المَجاز قولُ عَامر بن الطُّفَيْل للنبيِّ صلّى الله عَلَيْهِ وسلَّم: لنا الوَبَر وَلكم المَدَر. إنّما عَنى بِهِ المُدُن أَو الحَضَر، لأنَّ مَبانيها إنّما هِيَ بالمَدَر، وَعَنَى بالوَبَر الأَخْبِيَة لأنّ أَبْنِية الباديةِ بالوَبَر (تاج العروس: م د ر)

(٣)الاحتجاج اللغوي: د. صالح بلعيد، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م (ص٤٧)

❁ ثانيا: دلالة المناظرة:

أما المناظرة فهي: «المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»(١).

قال أبو البقاء الكفوي(ت١٠٩٤هـ): «**المناظرة:** هِيَ النّظر بالبصيرة من الْجَانِبَيْنِ فِي النِّسْبَة بَين الشَّيْئَيْنِ إِظْهَارًا للصَّوَاب، وَقد يكون مَعَ نَفسه، و**المجادلة:** هِيَ الْمُنَازعَة فِي الْمَسْأَلَة العلمية لإلزام الْخصم سَوَاء كَانَ كَلَامه فِي نَفسه فَاسِدا أَو لَا، وَإِذا علم بِفساد كَلَامه وَصِحَّة كَلَام خَصمه فنازعه فَهِيَ **المكابرة**، وَمَعَ عدم الْعلم بِكَلَامِهِ وَكَلَام صَاحبه فنازعه فَهِيَ **المعاندة**»(٢).

❁❁❁❁❁

(١)) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي ص١٣٩، وينظر: مقاييس اللغة (ن ظ ر)٥/٤٤٤، ولسان العرب (ن ظ ر)٥/٢١٥، ومن المناظرات بين النحاة والفقهاء: د. جمال عبد العزيز أحمد، مقال منشور بمجلة الأزهر س٦٩ ص٨٨٩.

(٢)) الكليات للكفوي ص٨٤٩، وينظر: التعريفات للجرجاني ص٢٣٢، والتوقيف على مهمات التعاريف ص٣١٦، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي٢/١٦٥٢.

❁ نص المسألة كما أوردها صاحب نفح الطيب(١):

"... ومن الحكايات في مثل ذلك(٢) أن الأديب البليغ الحافظ أبا بكر ابن حبيش لما قال في تخميسه (٣)المشهور:

بماذا علي كل من الحق أوجبت(٤)

اعترض عليه أبو زكريا اليَفْرَني بما نصه: استعمل المُخمِّس (ماذا) في البيت تكثيراً وخبراً، والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما، فجاوبه بقوله:

---

(١) تخريج الشواهد سيأتي في المباحث القادمة

(٢) الإشارة إلى تبحر أهل الأندلس في العلم.

(٣)خمس القصيد: جعل مقاطع لكل مقطع خمسة أبيات تأتي القافية في آخر البيت الأخير، " وخَمَّسَهُ تَخْمِيساً: جَعَلَه ذَا خَمْسِة أَرْكَانٍ. وَمِنْه المَخَمَّسُ من الشِّعْرِ: مَا كانَ على خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ، وليسَ ذلِك فِي وَضْعِ العَرُوِض. وَقَالَ أَبُو إسحاق: إِذا اخْتَلَطت القَوَافِي فَهُوَ المُخَمَّس"(تاج العروس: خ م س)

الْمُخُمَّس: وهو أن يؤتى بخمسة أقسمة كلها من وزن القافية للأقسمة الأربعة الأولى، ويتحد القسيم الخامس مع الخامس من الأولى في القافية؛ كقول الشاعر:

ورقيب يردد اللحظ ردًّا ... ليس يرضى سوى ازديادي بُعدَا
ساحر الطّرف مذ جني الخد ... إنَّ يومًا لناظري قد تبدَّى
فتملى من حسنه تكحيلا
وتصدى من فحشه في اشتياق ... يمنع اللحظ من جنى واعتناق
أيأس العين من لحاظ اعتناق ... قال جفني لصفوه: لا تلاقى
إن بيني وبين لقياك ميلا

(أهدى سبيل إلى علمي الخليل: الدكتور محمود مصطفى (ت ١٣٦٠هـ) (ص١١٨)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م)

(٤)تاج العروس(ما)(٥٠٧/٤٠)، هو شطر بيت من الطويل.

أما استعمالها استفهاماً كما قال فكثير، لا يحتاج إلى شاهد، وأما استعمالها في ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج إلى شاهد لو وُصل بحث، واستُعمل مكث، فلم يعترض علي ولي، ولا تشكك في جلي:

وَلَيسَ يَصِحُّ فِي الأَفْهَامِ شَيْءُ إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ(١)

قال الله تعالى في سورة يونس ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾[يونس:١٠١]

ووقع في صحيح البخاري في رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر:

وَمَـــاذَا بِالقَلِيـــبِ قَلِيـــبِ بَـــدْر مِـــنَ القَيْنَـــاتِ وَالشَّـــرْبِ الكِـــرَامِ

وَمَـــاذَا بِالقَلِيـــبِ قَلِيـــبِ بَـــدْرٍ مِـــنَ الشِّـــيزَى تُكَلَـــلُ بِالسَّـــنَامِ(٢)

وفي السير في رثاء المذكورين أيضاً:

مَاذَا بِبَدْرٍ فَالْعُقَنْقَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحِ

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفي، ووقع في الأغاني للوليد بن يزيد يرثي نديماً له يعرف بابن الطويل:

لله قبـــــــرٌ ضُـــــــمِّنتْ فيـــه عظـــامُ ابـــنِ الطويـــلِ

مـــــاذا تضـــــمَّنَ إذ ثـــــوى فيـــه مـــن الـــرأي الأصـــيلِ

والخبر طويل، وأجلى من هذا وأعلى، وأحق بكل تقديم وأولى، ولكن الواو لا تفيد رتبة(٣)، ولا تتضمن نسبة، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البيت من الوافر للمتنبي في ديوانه (٩٥/٢)قال ابن جنى: هذا كما يقول أهل الجدل: من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ٣٥٠/٢).

(٢) صحيح البخاري: (٣٩٢١/٦٥/٥)

(٣) قال الرازي . رحمه الله .:" وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٩٠] يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ لَا تُفِيدُ التَّرْتِيبَ؛ لِأَنَّ إصْلَاحَ الزَّوْجِ مُقَدَّمٌ عَلَى هِبَةِ الْوَلَدِ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَّرَهُ فِي اللَّفْظِ (مفاتيح الغيب١٨١/٢٢)

" **ماذا أنزل الليلة من الفتن**"(١)، وهو **في الصحاح**، ووقع في الحماسة، **وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها**:

مـاذا أجـال وثيـرةُ بـن سـماك مـن دمـع باكيـة عليـه وبـاك

وفي الحماسة أيضاً وأظنها لأبي دهبل:

ماذا رُزئنا غداة الحل من زمَع عند التفرق من خيمٍ ومن كرم

ووقع في نوادر القالي لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار:

هـوت أمُّـه مـا يبعـث الصـبحُ ومـاذا يـرد الليـلُ حـين يـؤوب

ووقع في شعر الخنساء ترثي أخاها صخراً:

ألا ثكلـتْ أمُّ الـذين غـدوا بـه إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

ومـاذا يـواري القبـر تحـت ترابـه مـن الجـود فـي بؤسـى الحـوادث

ولجرير وهو في الحماسة:

إن الـذين غـدوا بلبـك غـادروا وَشَـلاً بعينـك لا يـزال معينـا

غيَّضْـن مـن عبـراتهن وقلـنَ لـي مـاذا لقيـت مـن الهـوى ولقينـا

وفي الحماسة أيضاً:

ماذا من البعد بين البخل والجود

ووقع في الحماسة أيضاً، وهو لامرأة:

هوتْ أمهم ماذا بهم يوم صُرعوا بجيشانَ من أسبابِ مجدٍ تصرَّما

أرادت: ماذا تصرم لهم يوم صُرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما، ومما يستظهر به قول أبي الطيب المتنبي:

مـاذا لقيتُ من الدنيا وأعجبها أنـي بمـا أنـا بـاكٍ منـه محسـودُ

(١) سيأتي تخريجه.

وقوله أيضاً:

وماذا بمصر من المضحكاتِ ولكنه ضحك كالبُكا

ومن مُلح(١) المتأخرين: كان بمُرْسِيَة(٢)أبو جعفر المذكور في المطمح(٣)، وكان يلقب بالبقيرة، فقال فيه بعض أهل عصره:

قالوا: البقيرة يهجونا فقلت لهم ماذا دُهيتُ به حتى من البقَرِ

هذا وليس بثور بل هو ابنتهُ وأين منزلة الأنثى من الذكر(٤)

وأنشد صاحب الزهر(٥)، ولا أذكر قائله:

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن قياس قولهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت قافيةً بكراً يكون لها معنى يخالفُ ما قالوا وما وضعوا

قالوا: لحنتَ وهذا الحرف منتصبٌ وذاك خفضٌ، وهذا ليس يرتفعُ

وضرَّبوا بين عبد الله واجتهدوا وبين زيد فطال الضربُ والوجعُ

---

(١)..." المِلْح: العِلْم. والْمِلْح أَيضاً العُلَمَاءُ... والمُلْحَة بالضَّمِّ: المَهَابَةُ والبَرَكَةُ... ومن الْمجَاز: طرفْنَا بمُلْحَةٍ من مُلَحِك، والمُلْحَة: واحِدَةُ المُلَحِ من الأَحادِيثِ، وَهِي الكَلِمة المَليحة وَقيل: القَبيحة (تاج العروس: م ل ح)

(٢)بضم أوله، والسكون، وكسر السين المهملة، وياء مفتوحة خفيفة، وهاء،... اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام...، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها...، وإليها ينسب أبو غالب تمّام بن غالب اللغوي المرسيّ يعرف بابن البنّاء، صنّف كتابا كبيرا في اللغة(معجم البلدان٥/١٠٧).

(٣)مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي الإشبيلي (٤٨٠ – ٥٢٨ هـ)، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار – مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

(٤) البيت من البسيط، ولم أعثر على قائله

(٥)زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)

وقال صاحب الزهر: أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله:

ألا فـي سـبيل الله مـاذا تضـمنتْ بطونُ الثرى واستُودع البلدُ القفرُ

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن "ماذا" تستعمل بمعنى الخبر والتكثير، ووالله الذي لا إله غيره ما طالعت عليه كتاباً، ولا فتحت فيه باباً، وإنما هو ثُمالةٌ[١] من حوض التَّذكار، وصُبابة[٢] مما علق به شَرَك[٣] الأفكار، وأثر مما سَدِك[٤] به السمع، أيام خلو الذَّرْع، وعُقدت عليه الحُبى، في عصر الصبا، ورحم الله من تصفح، وتلمح فتسمح، وصحح ما وقع إليه من الاعتلال، وأصلح ما وضع لديه من اختلال، فخير الناس، من أخذ بالبر والإيناس، فبصر من جهلة، وادَّكر عن وهلة، و﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وتحابهم في الله رفعة وحظوة، ولهم في السلف الكريم، ومحافظتهم على الود القديم، أسوة كريمة وقدوة.

قال ابن الطَّرَّاحِ(ت٧٢٠هـ): انظر تحصيل هذا الإمام الرئيس، والأسمى النفيس، واستحضاره كلام الأدباء، وسير النقاد البلغاء، ومساجلته مع فرسان المعاني، ووصفه تلك المغاني، وقد كان حامل لواء الأدب، وفائق أبناء جنسه في مرقب[٥] الطلب.

---

(١)الثمالَةُ كثُمامَةٍ وسَفِينةٍ: البَقِيَّةُ مِن الطَّعام والشَّراب فِي البَطْنِ أَي بَطْنِ البَعِير وغيرِه، والثَّمِيلَةُ: مَا يكونُ فِيهِ الطَّعامُ والشَّرابُ فِي الجَوْفِ وكُلُّ بَقِيَّةٍ ثَمِيلَةٌ، والجَمْعُ ثَمائِلُ (تاج العروس: ث م ل)

(٢)الصُّبَابَةُ: البَقِيَّةُ: اليَسِيرَةُ تَبْقَى فِي الإِنَاءِ مِن الشَّرَاب، وإِذَا شَرِبَها الرَّجُلُ قَالَ: تَصَابَبْتُ المَاءَ، أَي شَرِبْتُ صُبَابَتَه أَي بَقِيَّتَه (تاج العروس: ص ب ب)

(٣)الشَّرَكُ، مُحَرَّكَةً: حَبائِلُ الصَّيدِ، وَكَذَلِكَ مَا يُنْصَبُ للطَّيرِ... ويُقال: واحِدَتُه شَرَكَةٌ،... والشَّرَكُ من الطَّرِيق: جَواده، أَو هِيَ الطّرقُ الَّتِي لَا تَخْفى عَلَيكَ وَلَا تَستَجْمِعُ لَكَ فأَنتَ تَراها ورُبَّما انْقَطَعَت غيرَ أَنها لَا تَخْفى عليكَ، واحِدَتُه شَرَكَةٌ (تاج العروس: ش ر ك)

(٤)سَدِكَ بِهِ، كفَرِحَ: لَزِمَه... والسَّدِكُ، ككَتِف: المُولَعُ بالشّيءِ فِي لُغَةِ طَيئ (تاج العروس: س د ك)

(٥)ارْتَقَبَ المَكَانَ: أَشْرَفَ عَلَيْهِ وَعَلاَ، والمَرْقَبَةُ والمَرْقَبُ: مَوْضِعُهُ المُشْرِفُ يَرْتَفِعُ عَلَيْهِ الرَّقِيبُ ومَا أَوْفَيْتَ عَلَيْهِ مِن عَلَمٍ أَوْ رَابِيَةٍ لتَنْظُرَ من بُعْدٍ (تاج العروس: ر ق ب)

➢ . **وهذه الكلمة – أعني" ماذا" – جرت بسببها مناظرة** بين الأستاذ أبي الحسين ابن أبي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحل بسَبْتَة(١)، حتى ألف مالك كتاب "**الرمي بالحصى والضرب بالعصى**" وفيه هنات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها، ولا لذي طي(٢) في البيان أن ينشرها، وفي ذلك قال الأستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى:

كان ماذا ليتها عَدَمُ جنبوها قُرْبُها نَدَمُ
ليتني يا مالِ لَم أرَها إنها كالنار تضطرمُ

وقوله "يا مال" ترخيم مالك.

وحكى الأستاذ ابن غازي أنهم اختلفوا: هل يقال: كان ماذا أم لا؟ وقال: إن الأستاذ ابن أبي الربيع تطفّل على مالك بن المرحل في الشعر، كما أن ابن المرحل تطفل عليه في النحو، قال: ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القضية:

عاب قوم كان ماذا ليت شعري كان ماذا
إن يكن ذلك جهلاً منهمُ فكان ماذا"(٣)

❁❁❁❁❁

(١)بلفظ الفعلة الواحدة من الإسبات، أعني التزام اليهود بفريضة السبت المشهور، بفتح أوّله، وضبطه الحازمي بكسر أوّله: وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على برّ البربر (معجم البلدان: ١٨٢/٣)

(٢)طَوَى الصَّحيفَةَ يَطْويها طَيّاً، فالطَّيُّ المَصْدَرُ، وَهُوَ نَقِيضُ نَشَرَها(تاج العروس: ط وي)

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (١٤١/٤ .١٤٦) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان، الطبعة (١)، ١٩٩٧م.

المبحث الأول: (ماذا) قراءة معجمية تركيبية دلالية

أ . يذكر أصحاب المعاجم أن:" ماذا: تأتي على أوْجُهٍ:

أحدُها: تكونُ "ما" اسْتفْهاماً و"ذا" إشارَةً، نحوُ: ماذا التَّوانِي؟، ماذَا الوُقُوفُ؟[1]

الثاني: تكونُ "ما" اسْتِفْهاماً و" ذا" موصُولةً، كقولِ لَبِيدٍ:

ألاَ تَسْألانِ المَرْء ماذَا يُحاوِلُ أنَحْبٌ فَيُقْضَى أمْ ضلالٌ

الثالثُ: يكونُ "ماذَا" كُلُّهُ استفهاماً على التَّرْكِيبِ، كقولِكَ: لماذَا جِئْتَ؟.

(١)تَقْديرُه: أَيّ شيءٍ هَذَا التَّواني وَهَذَا الْوُقُوف؟(تاج العروس: ما).

(٢) البيت من الطويل للبيد في ديوانه (ص ٢٥٤)، أراد: ما الذي يحاول، **والشاهد** فيه أنه رفع (أَنَحْبٌ) وجعله استفهاماً مفسراً لقوله: ماذا يحاولْ؟ و(ذا يحاول) مرفوع لأنه خبر (ما) ومعناه: أي شيء الذي يحاول، ولو كانت (ذا) مع (ما) كشيء واحد، لكان (ماذا) منصوباً بـ (يحاول)، وكان قوله (أَنَحبُ) منصوباً لأنه استفهام مفسر للاستفهام الأول فهو على إعرابه، وكان المعطوف عليه منصوباًْ وهو قوله (أَنَحبُ فيُقْضَى أُمْ ضَلالاً وباطلاً)، ومعنى يحاول: يزاولْ ويعالج. يقول: عليه نذر في الاجتهاد في طلب الدنيأ والسعي في تحصيلها، فهو يسعى في الوفاء بنذره، أم هذا الفعل منه ضلالْ وباطل. و(نحب) مرفوع خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: أهو نحب أم ضلال(شرح أبيات سيبويه: يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي (ت: ٣٨٥هـ) (٥٤/٢)، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م)، يقول: ألا تسألان مجتهدًا في أمر الدنيا وتتبعها، فكأنما أوجب على نفسه ذلك نذرًا يجري إلى قضائه وهو منه في ضلال، وينظر: (البحر المحيط ٣٧٧/٢)

الرابعُ: أن يكونَ "ماذا" كلُّه اسمَ جِنْسٍ، بمعنَى شيءٍ، أو بمعنَى الذي، كقولِهِ:

دَعِـــي مـــاذَا عَلِمْـــتُ سَـــأتَّقيهِ ولكِـــنْ بالمُغَيَّـــبِ فَنَبِّئينِـــي(١)

وتكونُ "ما" زائِدةً و" ذا" إشارَةً، نحوُ:

أنَوْراً سَرْعَ ماذَا يا فَروقُ(٢)

وتكونُ "ما" اسْتِفْهاماً و" ذا" زائدةً، في نحوِ: ماذَا صَنَعْتَ؟"(٣) ، قَالَ اللَّيْثُ: يقالُ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ فتقولُ: خَيْرٌ وخَيْراً، الرَّفْعُ على مَعْنى الَّذِي صَنَعْت خَيْرٌ، وكَذلكَ رفع قَول الله ,: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾

---

(١)البيت من الوافر لأبي حيَّة النُّمَيْري (لسان العرب: ماذا)، وقبله:

أَبِـــالمَوْتِ الَّـــذِي لَا بُـــدَّ أَنِي مُـــــلاقٍ، لَا أَبَـــــاكِ تُخَـــــوِّفِينِي؟

ونسب إلى المثقف العبدي وسحيم بن وثيل، (ينظر: الكتاب ٤١٨/٢، والهمع ٨٤/١)، والشاهد فيه: "ماذا علمت" فإن "ذا" مع "ما" اسم جنس بمعنى "شيء" أو اسم موصول بمعنى "الذي".

(٢) صدر بيت لأَبي شَقِيقٍ الْبَاهِلِيِّ وَاسْمُهُ جَزْءُ بْنُ رَباح، وَقِيلَ هُوَ لِزُغْبَةَ الْبَاهِلِيِّ، وعجزه:

وحَبْلُ الوَصْلِ مُنْتَكِثٌّ حَذِيقُ.

وقَوْلُهُ (سَرْعَ مَاذَا): أَراد سَرُعَ فَخَفَّفَ، وَالْعَرَبُ تُخَفِّفُ الضَّمَّةَ وَالْكَسْرَةَ لِثِقَلِهِمَا، وَقَوْلُهُ (أَنوراً) بِمَعْنَى أَنِفاراً سَرُعَ ذَا يَا فُرُوقُ أَي مَا أَسرعه، وَذَا فَاعِلُ سَرُعَ وأَسكنه لِلْوَزْنِ، وَمَا زَائِدَةٌ. وَالْبَيْنُ هَاهُنَا: الْوَصْلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[الأنعام:٩٤]؛ أَي وصْلُكم، قَالَ: وَيُرْوَى وَحَبْلُ الْبَيْنِ مُنْتَكِثُ؛ وَمُنْتَكِثٌ: مُنْتَقِضٌ. وَحَذِيقٌ: مَقْطُوعٌ؛ وَبَعْدَهُ:

أَلا زَعَمَـــتْ علاقَـــةُ أَنَّ سَـــيْفِي يُفَلِّـــلُ غَرْبَـــه الـــرأْسُ الحَلِيـــقُ؟

وَعَلَاقَةُ: اسْمُ مَحْبُوبَتِهِ؛ يَقُولُ: أَزعمت أَن سَيْفِي لَيْسَ بِقَاطِعٍ وأَن الرأْس الْحَلِيقَ يُفَلِّلُ غَرْبَهُ؟ وامرأَة نَوارٌ: نَافِرَةٌ عن الشَّرِّ وَالْقَبِيحِ. (لسان العرب: ن ور، س ر ع).

(٣) القاموس المحيط (١٣٥٣)

[البقـرة:٢١٩] (١)، أَي الَّـذِي يُنْفِقُـونَ هُـوَ العَفْـوُ مِـن أَمْـوالِكُم، وَقَـالَ الزجَّاج(ت٣١١هـ): مَعْنى ﴿مَاذَايُنفِقُونَ﴾ على ضَرْبَيْن:

أَحدُهما: أنْ يكونَ ذَا فِي معْنَى الَّذِي، ويكونَ ﴿يُنفِقُونَ﴾ مِن صِلَتِه، المَعْنَى يَسْأَلُونَك أَيُّ شَيْء، يُنْفِقُونَ، كأَنَّه بَيَّنَ وجْهَ الَّذِي يُنْفِقُون لأنَّهم يَعْلمونَ مَا المُنْفَق، ولكنَّهم أَرادُوا عِلم وَجْهِه، قالَ: وجائِزٌ أَنْ يكونَ مَا مَعَ ذَا بمنْزِلَةِ اسْمٍ واحِدٍ، وَيكون المَوْضِعُ نَصْباً بـ﴿يُنفِقُونَ﴾ المَعْنى أَيُّ شيءٍ، يُنْفِقُونَ، قالَ: وَهَذَا إجْماعُ النَّحويِّين، وكذلكَ الأوَّل إجْماعٌ أَيْضاً، وَقَوْلهمْ: مَا وَذَا بمنْزِلَةِ اسْمٍ واحِدٍ(٢)، وَقَالَ ابنُ فارِس(ت٣٩٥هـ): فأَمَّا قَوْله تَعَالَى: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾[النحل:٢٤] [النحل:٣٠] ؟ فقالَ قَوْمٌ: مَا وَذَا بمنْزِلَةِ اسْمٍ واحِدٍ. وقالَ آخَرُونَ: ذَا بمعْنَى الَّذِي مَعْناهُ: مَا الَّذِي أنزلَ رَبُّكُم (٣).

ب . ولم يخرج النحاة عما قاله أصحاب المعاجم فذكروا أن (ماذا) تحتمل أربعة أوجه:

أحدهما: أن تكون ما استفهامية وذا اسم إشارة.

وثانيها: أن تكون ما استفهامية وذا اسم موصول.

وثالثها: أن يكون المجموع اسماً واحداً للاستفهام، **ورابعها** أن يكون المجموع اسماً واحداً خبرياً، ويعرب في كل موضع على ما يليق به(٤).

---

(١) قرأ أبو عمرو ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالرفع، والباقون بالنصب (تقريب النشر ٤٦٩/٢)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٨/١)

(٣) تاج العروس (ما).

(٤)الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)

تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

ج . وقال الراغب (ت٥٠٢هـ): " قولهم: (ماذا) يستعمل على وجهين:

أحدهما: أن يكون (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد.

والآخر: أن يكون (ذا) بمنزلة (الذي).

فالأوّل نحو قولهم: عمّا ذا تسأل؟ فلم تحذف الألف منه لمّا لم يكن ما بنفسه للاستفهام، بل كان مع ذا اسما واحدا، وعلى هذا... قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[البقرة:٢١٩]، فإنّ من قرأ:﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالنّصب فإنّه جعل الاسمين بمنزلة اسم واحد، كأنّه قال: أيّ شيء ينفقون؟ **ومن قرأ:** ﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالرّفع، فإنّ (ذا) بمنزلة الذي، وما للاستفهام أي: ما الذي ينفقون؟ وعلى هذا قوله تعالى: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[النحل:٢٤]، و(أساطير) بالرّفع والنصب(١)" (٢).

د –**وقال المفسرون في قوله: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٦]: اعلَمْ أنَّ «ماذا صنعت؟» ونحوَه له في كلامِ العربِ ستةُ استعمالات:**

الأول: أن تكون «ما» اسمَ استفهام في محلِّ رفعِ بالابتداءِ، و«إذا» اسمُ إشارةٍ خبرهُ.

والثاني: أن تكونَ «ما» استفهاميةً وذا بمعنى الذي، والجملة بعدها صلةٌ وعائدُها محذوفٌ، والأجودُ حينئذٍ أن يُرْفَعَ ما أُجيب به أو أُبْدِلَ منه...

والثالث: أن يُغَلَّبَ حكمُ «ما» على «ذا»، فَيُتْرَكا ويَصيرا بمنزلة اسمٍ واحدٍ، فيكونَ في محلِّ نصبٍ بالفعل بعدَه، والأجودُ حينئذٍ أن يُنْصَبَ جوابُه والمبدلُ منه كقولِه: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[البقرة:٢١٩] في قراءة غير أبي

(١)قَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: (خَيْرٌ) بِالرَّفْعِ، أي: الْمُنَزَّلُ فَتُطَابِقُ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَأْوِيلَ مَنْ جَعَلَ إِذَا مَوْصُولَةً، وَلَا تُطَابِقُ مَنْ جَعَلَ مَاذَا مَنْصُوبَةً، لِاخْتِلَافِهِمَا فِي الْإِعْرَابِ، وَإِنْ كَانَ الِاخْتِلَافُ جَائِزًا (البحر المحيط٥٢٥/٦، والمغني في القراءات١١٠٥/٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن(ص٣٣٤).

عمـرٍو، و﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾[النحـل:٣٠]: عنـد الجميع...

الرابـع: أن يُجْعَلَ(مـاذا) بمنزلـةِ الموصـول تغليبـاً لـ(ذا) على(مـا)، عكسَ ما تقدَّم في الصورة قبلَه، وهو قليلٌ جداً...

الخامسُ: زعم الفارسي(ت٣٧٧هـ) أن(ماذا) كلَه يكونُ نكرةً موصوفةً وأنشد:

دَعِي ماذَا عَلِمْتُ سَأتَّقيهِ...

أي: دَعي شيئاً معلوماً وقد تقدَّم تأويلُه.

السادس: وهو أضعفُها أن تكونَ(ما) استفهاماً و(ذا) زائدةً، وجميعُ ما تقدَّم يصلُح أن يكون مثالاً له، ولكنَّ زيادةَ الأسماءِ ممنوعةٌ أو قليلةٌ جداً(١).

۞ ونخلص مما سبق إلى:

أ . (ماذا) لفظ يرد مفردا ويرد مركبا حسب السياق.

ب . (مـاذا) لفظ ثنائي الدلالـة، حيث يحمل دلالتي الاستفهام والخبر، مـع تغير دلالة (ذا) حسب السياق بين أن تكون اسم إشارة أو اسم موصول أو صلة (ملغاة).

ج . تنوع السياق التركيبي في جواب السؤال بـ (ماذا) في النظائر القرآنية، وهذا ما نلاحظه في نحو قوله – تعالى – ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [النحـــل:٢٤] ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾[النحل:٣٠]، وإنما أطبق القراء على نصب هذا ورفع الأول فرقـاً بـين جـوابي المقـر والجاحـد بمطابقـة المقـر بـين الجـواب والسـؤال، وعـدول الجاحـد بجوابـه عـن السـؤال (٢)، قـال الزمخشـري

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢٣٠/١)

(٢) نظم الدرر (١٤٦/١١)

(ت٥٣٨هـ):" فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول؟ قلت: فصلا بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، يعنى أن هؤلاء لما سئلوا لم يَتَلَعْثَمُوا، وَأَطْبَقُوا الْجَوَابَ عَلَى السُّؤَالِ بَيِّنًا مَكْشُوفًا مَفْعُولًا لِلْإِنْزَالِ، فَقَالُوا خَيْرًا، أَيْ أَنْزَلَ خَيْرًا، وَأُولَئِكَ عَدَلُوا بِالْجَوَابِ عَنِ السُّؤَالِ فَقَالُوا: هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْزَالِ فِي شَيْءٍ "(١)، ولذا قيل: النصب في جهة المؤمنين أرجح، والرفع للكافرين أرجح كما هو في الآية، ووجهه أنه حيدة منهم عن الجواب؛ لأن الكافرين لو نصبوا﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ لكان المعنى: أنزل أساطير الأولين فيكونوا مقرين بالإنزال، وإذا رفعوه فيكون المعنى: هو أساطير الأولين، وحادوا عن الجواب على مقتضى السؤال، والمؤمنون أجابوا على مقتضى السؤال، فقالوا: أنزل خيرا، فأقروا بالإنزال، وأنه خير في نفسه، فحصّلوا المطلوب وزيادة(٢).

د . لتنوع القراءات أثر في دلالة (ماذا)، ففي قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [البقرة:٢١٩] قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِالرَّفْعِ﴿ٱلْعَفْوُ﴾ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالنَّصْبِ(٣)،فقراءة الجمهور مَبْنِيَّةٌ عَلَى **اعْتِبَارِ (ذَا) بَعْدَ (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةِ مُلْغَاةً**، فَتَكُونُ (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةُ مَفْعُولا مقدما لـ﴿يُنفِقُونَ﴾ فَنَاسَبَ أَنْ يَجِيءَ مُفَسِّرُ (مَا) فِي جَوَابِ السُّؤَالِ مَنْصُوبًا كَمُفَسَّرِهِ، وقراءة **الرفع مَبْنِيَّةٌ عَلَى جَعْلِ (ذَا) بَعْدَ (مَا) مَوْصُولَةً**، أَيْ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِي يُنْفِقُونَهُ؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مَوْصُولَةً كَانَتْ مُبْتَدَأً إِذْ لَا تَعْمَلُ فِيهَا صِلَتُهَا وَكَانَتْ مَا الِاسْتِفْهَامِيَّةُ خَبَرًا عَنْ مَا الْمَوْصُولَةِ، وَكَانَ مُفَسَّرُهَا فِي الْجَوَابِ وَهُوَ الْعَفْوُ فَنَاسَبَ أَنْ يُجَاءَ بِهِ مَرْفُوعًا كَمُفَسِّرِهِ لِيُطَابِقَ الْجَوَابُ

(١) الكشاف (٦٠٣/٢)

(٢) تفسير ابن عرفة (٨٢/١)

(٣) تقريب النشر في القراءات العشر(٤٦٩/٢)

السُّؤَالَ فِي الِاعْتِبَارَيْنِ وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ اعْتِبَارٌ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ(١)، قال ابن عطية(ت٥٤٢هـ):" وهذا متركب على ﴿مَاذَا﴾، فمن جعل «ما» ابتداء و «ذا» خبره بمعنى الذي وقدر الضمير في ﴿يُنفِقُونَ﴾ عائدا قرأ ﴿ٱلۡعَفۡوَ﴾ بالرفع، لتصح مناسبة الجمل، ورفعه على الابتداء تقديره العفو إنفاقكم، أو الذي تنفقون العفو، ومن جعل ﴿مَاذَا﴾ اسما واحدا مفعولا بـ﴿يُنفِقُونَ﴾، قرأ﴿ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ بالنصب بإضمار فعل، وصح له التناسب، ورفع «العفو» مع نصب «ما» جائز ضعيف، وكذلك نصبه مع رفعها"(٢).

هـ . **يتنوع الوقف والابتداء لتنوع دلالة (ماذا)**، ففي الآية السابقة مَنْ قَرَأَ ﴿ٱلۡعَفۡوَ﴾ بِالرَّفْعِ، يَتَرَجَّحُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَاذَا﴾ كَلِمَتَيْنِ، (مَا) اسْتِفْهَامِيَّةٌ وَ(ذَا) بِمَعْنَى الَّذِي: أَيِ الَّذِي يُنْفِقُونَ الْعَفْوُ، **فَيَجُوزُ لَهُ الْوَقْفُ عَلَى(مَا)**، وَعَلَى (ذَا)، وَعَلَى قِرَاءَةِ الْبَاقِينَ يَتَرَجَّحُ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبَةً كَلِمَةً وَاحِدَةً، **أَيْ يُنْفِقُونَ الْعَفْوَ فَلَا يَقِفُ إِلَّا عَلَى (ذَا)**(٣).

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ **مَاذَآ** أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾[البقرة:٢٦]" يحتمل أن يوقف على ﴿مَاذَا﴾ "(٤)، ووجهه أن يكون (ما) اسم استفهام و(ذا) اسم إشارة خبر

(١) التحرير والتنوير (٣٥٢/٢)
(٢) المحرر الوجيز (٢٩٥/١)
(٣) النشر في القراءات العشر (١٦٠/٢)
(٤) تفسير ابن عرفة (٨٢/١)

له، أي كأنهم سألوا عن هذا المثل تعجيبا أو تهكما: ما هذا؟! واستأنف الله الكلام ردّا بقوله﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، وللوصل وجهان"

أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ (مَا) اسْتِفْهَامًا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ، وَ(ذَا) بِمَعْنَى الَّذِي خَبَرٌ عَنْ (مَا)، وَ﴿أَرَادَ﴾ صِلَةً لِـ(ذَا) الْمَوْصُولَةِ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، إِذْ فِيهِ شُرُوطُ جَوَازِ الْحَذْفِ، وَالتَّقْدِيرُ: ما الذي أَرَادَهُ اللَّهُ.

وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ ﴿مَاذَا﴾ كُلُّهَا اسْتِفْهَامًا، وَتَرْكِيبُ (ذَا) مَعَ (مَا)، وَتَكُونُ مَفْعُولًا بِإِرَادَةِ التَّقْدِيرِ، أَيْ شَيْءٌ أَرَادَهُ اللَّهُ، وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ فَصِيحَانِ"(١).

و. السياق الاستعمالي لـ ﴿مَاذَا﴾ :

. **أَصْل** (مَاذَا) كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةِ وَ(ذَا) اسْمِ الْإِشَارَةِ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَصْلُهَا أَنْ يُسْأَلَ بِهَا عَنْ شَيْءٍ مُشَارٍ إِلَيْهِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: مَاذَا؟ مُشِيرًا إِلَى شَيْءٍ حَاضِرٍ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: مَا هَذَا؟

غَيْرَ أَنَّ الْعَرَبَ تَوَسَّعُوا فِيهِ فَاسْتَعْمَلُوهُ اسْمَ اسْتِفْهَامٍ مُرَكَّبًا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ مُعَبَّرًا عَنْهُ بِلَفْظٍ آخَرَ غَيْرِ الْإِشَارَةِ، حَتَّى تَصِيرَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ مَعَ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِلَفْظٍ آخَرَ لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ، نَحْوَ مَاذَا التَّوَانِي؟، أَوْ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِلْإِشَارَةِ مَوْقِعٌ نَحْوَ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النِّسَاء: ٣٩] وَلِذَلِكَ يَقُولُ النُّحَاةُ: إِنَّ (ذَا) مُلْغَاةٌ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ.

وَقَدْ يَتَوَسَّعُونَ فِيهَا تَوَسُّعًا أَقْوَى فيجعلون (ذَا) اسْم مَوْصُول، وَذَلِكَ حِينَ يَكُونَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ مَعْرُوفًا لِلْمُخَاطَبِ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، فَلِذَلِكَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ جُمْلَةً أَوْ نَحْوَهَا هِيَ صِلَةٌ وَيَجْعَلُونَ ذَا مَوْصُولًا نَحْوَ: ﴿مَّآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾

(١) البحر المحيط (٢٠١/١)

[النَّحْل: ٢٤] وَعَلَى هَذَيْنِ الِاحْتِمَالَيْنِ يَصِحُّ إِعْرَابُهُ مُبْتَدَأً وَيَصِحُّ إِعْرَابُهُ مَفْعُولًا مُقَدَّمًا إِذَا وَقَعَ بَعْدَهُ فِعْلٌ [(١)].

❁ الفرق بين (ما) و(ماذا) دلاليا:

إذا كانت (ما) و(ماذا) يستعملان في الدلالة على الاستفهام، فهل هناك ملمح دلالي فارق بينهما؟

أولا: من حيث الإفراد والتركيب، (ما) لفظ مفرد، وأما (ماذا) فيرد مفردا بمعنى شيء، ويكثر أن يأتي مركبا من (ما) و(ذا).

ثانيا: من حيث الاستعمال، (ما) لفظ متعدد الدلالة، فيستعمل حرفا واسما، نافيا، واستفهاما، وموصولا، وصلة، ومصدرية، وتعجبا...، و(ماذا) لفظ ثنائي الدلالة، حيث يكثر استعماله استفهاما، ويقل أن يأتي خبرا.

ثالثا: من حيث الدلالة كلاهما يستعمل للاستفهام، إلا أن " (ذا) مؤكدة للاستفهام"[(٢)]،قال بدر الدين ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ) في سياق دلالة التنوع الأسلوبي في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الشعراء:٧٠] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الصافات:٨٥] " (مَاذَا) أبلغ في الاستفهام من (مَا)، فقوله ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾لهم خارج مخرج الاستفهام عن حقيقة معبودهم، فلذلك أجابوه بقولهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾[الشعراء:٧١]، وأما آية الصافات فهو استفهام توبيخ وتقريع بعد معرفته لمعبودهم، ولذلك تمم كلامه بما يدل على الإنكار عليهم، فقال:

(١) التحرير والتنوير(١/٣٦٤).
(٢) نظم الدرر (١١/١٤٦)

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[الصافات:٨٦] الآيات، ولذلك لم يجيبوه في آية الصافات لفهم قصد الإنكار عليهم" (١).

وقال الخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ):" للسائل أن يسأل عن زيادة "ذا" في قوله في الصافات: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ وإخلاء (ما) في الشعراء منها؟ والجواب أن يقال: إن قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ معناه: أيّ شيء تعبدون، وقوله: **(ماذا)** في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: أن تكون "ما" وحدها اسما، و" ذا" بمعنى الذي، والمعنى: ما الذي تعبدون، و(تعبدون) صلة لها.

والآخر: أن تكون " ما" مع " ذا" اسما واحداً بمعنى: أيّ شيء، وهو في الحالين أبلغ من "ما" وحدها، إذا قيل: ما تفعل؟ فـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ في سورة الشعراء إخبار عن تنبيهه لهم، لأنهم أجروا مقاله مجرى مقال المستفهم فأجابوه و﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴾[الشعراء:٧١]، فنبّه ثانياً بقوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾[الشعراء:٧٢]،وأما: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾في سورة الصافات فإنها تقريع، وهو حال بعد التنبيه، ولعلّهم إذا علموا بأنه يقصد توبيخهم وتبكيتهم لا يجيبون بإجابتهم في الأول، ثم أضاف تبكيتا إلى تبكيت، ولم يستدع منهم جواباً فقال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[الصافات:٨٧]، فلما قصد في الأول التنبيه كانت "ما" كافية، ولماّ بالغ وقرّع استعمل اللفظ الأبلغ، وهو "ماذا" التي إن جعلت "ذا" منها بمعنى " الذي" فهو أبلغ من "ما" وحدها. وإنْ جُعلا اسما كان أيضاً أبلغ وأوكد من "ما" إذا خلت من "ذا"(٢).

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني(ص٢٨٠).

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل(٩٦٥/١).

المبحث الثاني: دلالة (ماذا) وشواهدها

❁ أولا: السياق الزمني والمكاني للمسألة:

هذه المسألة كانت في القرن السابع الهجري ببلاد الأندلس، "...وكان أهل الأندلس في غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة، قال ابن مُسْدِي(٥٩٩ . ٦٦٣هـ): أملى علينا ابن المناصف النحوي (ت٦٢٧هـ)[١] بدانية على قول سيبويه(ت١٨٠هـ) **"هذا باب ما الكلم من العربية"**[٢] عشرين كراساً، بسط القول فيها في مائة وثلاثين وجهاً،... وهذا وأشباهه يكفيك في تبحر أهل الأندلس في العلم، وربما سئل العالم منهم عن المسألة التي يحتاج في جوابها إلى مطالعة ونظر، فلم يحتج إلى ذلك، ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة..." (٣).

❁ ثانيا: طرفا الحجاج اللغوي:

أما الأول فهو أَبو بَكْرٍ مُحَمّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ يُوسُفَ بنِ الحَسَن بنِ يُونُسَ بن **حَبْيشٍ**(٦١٥. بعد ٦٧٩ هـ) بِفَتْح الْحَاء الْمُهْمِلَة، وَكسر الْبَاء الْمُوَحدَة، كأَمِيرٍ . اللَّخْمِيُّ التُّونِسيُّ المُحْسِنُ، كَانَ مُتْقِناً فِي العُلُومِ، مُتَقَدِّماً فِي النَّظْمِ والنَّثْرِ والحِفْظِ، (٤)، الْمُقِيم بتونس، الْأُسْتَاذ الأديب الراوية النَّحْوِيّ، انْقطع فِي آخر عمره إِلَى الْعِبَادَة، وَأَجَازَ لأبي حَيَّان؛ وَمَات بتونس(٥).

---

(١)إِبْرَاهِيم بن عِيسَى بن أصبغ الإِمَام، أَبُو إِسْحَاق الْأَزْدِيّ الْقُرْطُبِيّ الْمَعْرُوف بِابْن المناصف من كبار الْمَالِكِيَّة بقرطبة (الوافي بالوفيات ٥٠/٦)

(٢) ينظر: (الكتاب ١/ ٢)

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: (١٤٠/٤).

(٤) تاج العروس(ح ب ش)

(٥) بغية الوعاة(٩٢/١)

وأما المعترض على ابن حبيش فهو الفقيه النحوي الأديب أبو زكريا يحيى بن علي بن سلطان اليَفْرَني (٦٤١ .٧٠٠هـ)، برع في العربية، وكان يلقب في المشرق **جبل النحو**، وكان عند نفسه مجتهداً.

- وكان لا يجيز نكاح الكتابيات، خلافاً للإمام مالك، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ¬ تعالى، ويتمسك بقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١] (١).
- وكان يرى أن الطلاق لا يكون إلا مرتين: مرة للاستبراء، ومرة للانفصال، ولا يقول بالثلاث، وهو خلاف الإجماع (٢).
- وكان يقول في نهيه ‰ « **عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ**» (٣): أي مأكول كل ذي ناب، وتبقى هي على الإباحة، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة:٣]
- وكان يقول في قوله تعالى ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه:٦٣]الهاء اسم (إنّ) (٤)، و(ذان لساحران) جملة خبر لـ (إنّ)، ولا تحتاج لرابط لأنها

(١)اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَنْكِحَ الْكِتَابِيَّةَ الْحُرَّةَ، إِلَّا مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ . رضي الله عنهما . (بداية المجتهد ونهاية المقتصد٦٧/٣)، وقال ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ):" وَحَرَائِرُ نِسَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَذَبَائِحُهُمْ حَلَالٌ لِلْمُسْلِمِينَ، لَيْسَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، بِحَمْدِ اللَّهِ، اخْتِلَافٌ فِي حِلِّ حَرَائِرِ نِسَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ" (المغني لابن قدامة ١٢٩/٧).

(٢)اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْعَدَدَ الَّذِي يُوجِبُ الْبَيْنُونَةَ فِي طَلَاقِ الْحُرِّ ثَلَاثُ تَطْلِيقَاتٍ إِذَا وَقَعَتْ مُفْتَرِقَاتٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة:٢٢٩] (ينظر: بداية المجتهد ٨٣/٣)، والثالثة ﴿تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (المجموع شرح المهذب ٦٩/١٧)

(٣) صحيح البخاري (٥٥٣٠/٩٦/٧) أَيْ: عَنْ أَكْلِهِ، وَأَبَاحَ مَالِكٌ ذَلِكَ مَعَ الْكَرَاهَةِ (مرقاة المفاتيح٢٦٦٣/٧)

(٤) وذلك وفق قراءة الجمهور (إنّ هذان) بتشديد النون وإثبات الألف (تقريب النشر ٥٩٧/٢)، وينظر في توجيه هذه القراءة (الكشف لمكي ١٠٠/١).

تفسيرية، والمعنى عنده: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ ﴾ إنها، أي نجوانا: هذان لساحران، أي قولنا هذان لساحران، تثبيطاً للناس عن اتباعهما، وخط المصحف يرده، لكن في المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح، مثل ﴿مَالِ هَٰذَا﴾ [الكهف:٤٩] [الفرقان:٧] ، ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ [التوبة:٤٧][(١)] و ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥٓ﴾ [النمل:٢١] [(٢)].

❁ ثالثا: الشاهد القرآني في المناظرة:

كل ما ورد أنه قُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواترًا، أم آحادًا، أم شاذًّا[(٣)]، فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم[(٤)]، والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر[(٥)]،وقد استشهد ابن حبيش بآية قرآنية للدلالة على أن (ماذا) من معانيها التكثير، وقد وردت (ماذا) في القرآن الكريم في

(١) قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ "رسم في بعض المصاحف بألف بعد اللام ألف وفي بعضها بغيرها" (لطائف البيان في رسم القرآن ص٤١)، قال ابن عاشور: " وَكتب كلمة ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ فِي الْمُصْحَفِ- بِأَلِفٍ بَعْدَ هَمْزَةِ أَوْضَعُوا- الَّتِي فِي اللَّامْ أَلِفْ بِحَيْثُ وَقَعَ بَعْدَ اللَّامِ أَلِفَانِ فَأَشْبَهَتِ اللَّامْ أَلِفْ لَا النَّافِيَةَ لِفِعْلِ أَوْضَعُوا وَلَا يُنْطَقُ بِالْأَلِفِ الثَّانِيَةِ فِي الْقِرَاءَةِ فَلَا يَقَعُ الْتِبَاسٌ فِي أَلْفَاظِ الْآيَةِ. قَالَ الزَّجَّاجُ(ن٣١١هـ): وَإِنَّمَا وَقَعُوا فِي ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَتْحَةَ فِي الْعِبْرَانِيَّةِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَلْسِنَةِ تُكْتَبُ أَلِفًا، وَتَبِعَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: يُحْتَمَلُ أَنْ تُمْطَلَ حَرَكَةُ اللَّامِ فَتَحْدُثُ أَلِفٌ بَيْنَ اللَّامِ وَالْهَمْزَةِ الَّتِي مِنْ أَوْضَعَ..." (التحرير والتنوير ٢١٧/١٠).

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: (١٤٦/٤)

(٣) الاقتراح في علم أصول النحو(ص٤٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن(ص٥٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (١٤/١)

سبعة وعشرين موضعا، ولفظها للاستفهام، قال أبو العلاء الهمذاني(ت٥٦٩ هـ):" ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٦]: استفهام سؤال، وكذلك نظائره في جميع القرآن"(١)، والآية التي استشهد بها ابن حَبيش(٦١٥ – بعد ٦٧٩ هـ) هي قول الله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[يونس:١٠١] قال فيها المفسّرون: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله: انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السّماوات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكلُّ هذا يقتضي خالقاً مدبراً (٢)، فسياقها ناطق بأن المراد الكثرة لا حقيقة الاستفهام" أَيْ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ لِقَوْمِكَ الَّذِينَ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ: انْظُرُوا بِعُيُونِ أَبْصَارِكُمْ وَبَصَائِرِكُمْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ آيَاتِ اللهِ الْبَيِّنَاتِ، وَالنِّظَامِ الدَّقِيقِ وَالْعَجِيبِ فِي شَمْسِهَا وَقَمَرِهَا، وَكَوَاكِبِهَا ،... وَمَنَازِلِهَا، وَلَيْلِهَا وَنَهَارِهَا، وَسَحَابِهَا وَمَطَرِهَا، وَهَوَائِهَا وَمَائِهَا، وَبِحَارِهَا وَأَنْهَارِهَا، وَأَشْجَارِهَا وَثِمَارِهَا، وَأَنْوَاعِ حَيَوَانَاتِهَا الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ، فَفِي كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُبْصِرُونَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى عِلْمِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ" (٣).

ومع دلالتها على التكثير كما ذكر المفسرون، فإنهم لم يخرجوها عن الاستفهام، قال أبو حيان(ت٧٤٥ هـ):" ﴿مَاذَا﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اسْتِفْهَامًا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ، والخبر ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ ﴿ذَا﴾ بِمَعْنَى الَّذِي، وَصِلَتُهُ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾وَ﴿ ٱنظُرُواْ ﴾ مُعَلَّقَةٌ، فَالْجُمْلَةُ

(١) الكشف والبيان عن ماءات القرآن(ص٣٣٧).
(٢) زاد المسير(٣٥٣/٢).
(٣) تفسير المنار(٣٩٦/١١).

الِابْتِدَائِيَّةُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَيَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ ﴿مَاذَا﴾ كُلُّهُ مَوْصُولًا بِمَعْنَى الَّذِي، وَيَكُونُ مَفْعُولًا لِقَوْلِهِ: ﴿ٱنظُرُواْ﴾، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ بَصَرِيَّةً تَعَدَّتْ بِـ (إِلَى)، وَإِنْ كَانَتْ قَلْبِيَّةً تَعَدَّتْ بِـ (فِي).

فدلالة (مَاذَا) في الآية الاستفهام والتنبيه إلى عجائب السماوات وارتباط نجومها وأبراجها برباط محكم لَا يمكن أن يسير نجم في غير مساره، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وَأَصْلُ وَضْعِ التَّرْكِيبِ: مَا هَذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَيْ مَا الْمُشَارُ إِلَيْهِ حَالَ كَوْنِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى صَارَ فِي مَعْنَى: مَا الَّذِي. وَالْمَقْصُودُ: انْظُرُوا مَا يَدُلُّكُمْ عَلَى جَوَابِ هَذَا الِاسْتِفْهَامِ... فَ (ذَا) لَمَّا قَامَ مَقَامَ اسْمِ الْمَوْصُولِ صَارَ مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَجْرَامِ وَأَعْرَاضِهَا الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ (١).

وإذا كان ابن حبيش قد استشهد بآية واحد، فإن هناك آية أخرى سياقها يحمل دلالة التكثير . أيضا . هي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]" قال بعضهم: إنها تقتضي التكثير،... وقال بعضهم: إنما يكون التقليل، واحتج بهذه الآية"(٢)، وغيرهم يذكر أن"﴿مَاذَا﴾ بِمَعْنَى: مَا الَّذِي خَلَقُوهُ؟، فَ (مَا)

(١) التحرير والتنوير (٢٩٥/١١).
(٢) تفسير ابن عرفة (٣٣٥/٣)

اسْتِفْهَامِيَّةٌ، و(ذَا) بِمَعْنَى الَّذِي، وَأَصْلُهُ اسْمُ إِشَارَةٍ نَابَ عَنِ الْمَوْصُولِ... وَالِاسْتِفْهَامُ فِي ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾ إِنْكَارِيٌّ (١).

والحاصل أن آيتين من الآيات التي ورد فيها (ماذا) حملها بعض العلماء على التكثير، لدلالة السياق على ذلك، ولم يخرجها الجمهور عن الاستفهام، مع ذكرهم لدلالة التكثير من خلال تفسيرهم.

فإن قيل: ما الفرق الدلالي بين أسلوب الاستفهام وأسلوب الخبر الدالين على التكثير؟ قلت: إذا كانا كلاهما دالا على التكثير، فإن الاستفهام يحمل مع الدلالة على التكثير دلالة التقرير والوعيد . أيضا . حسب سياق كل موضع.

❁ رابعا: الشاهد من الحديث النبوي:

إن موضوع الحديث الشريف والاحتجاج به في اللغة لفّه اختلاف بين العلماء(٢)،ويمكننا إيجاز خلاف العلماء في مسألة الاستشهاد بالحديث النبوي في ثلاثة أقوال:

الأول: جواز الاستشهاد بالحديث في اللغة، وهذا صنيع البطليوسي (ت٥٢١هـ) وابن الطَّراوة (ت٥٢٨هـ) والسهيلي (ت٥٨٣هـ) وابن خروف (ت٦١٠هـ) وابن مالك (ت٦٧٢هـ) وغيرهم (٣).

الثاني: منع الاستشهاد بالحديث في اللغة، يقول أبو حيان(ت٧٤٥هـ) معترضًا على ابن مالك لاستشهاده بالحديث: "على أن الواضعين الأولين

(١) التحرير والتنوير (٩/٢٦)

(٢) ينظر تفصيل ذلك في مصادر كثيرة منها: الاحتجاج بالحديث النبوي في النحو العربي: د. التواتي بن التواتي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع (١٠) س(٥) ذو الحجة ١٤٣٠هـ = ديسمبر ٢٠٠٩م، (ص٦٣)

(٣) ينظر: الاقتضاب شرح أدب الكتاب(ص١١٩) ونتائج الفكر(ص١٤) وخزانة الأدب(١٠/١)

لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب، كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي، والفراء، وعلي بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم، كنحاة بغداد، وأهل الأندلس"(١).

وقد حاول المتأخرون أن يعللوا هذا الرفض المزعوم وانتهوا إلى أنه يرجع لسببين:

أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى.

والثاني: أنه وقع اللحن كثيرًا فيما روي من الحديث؛ لأن كثيرًا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع.

والذي نحب أن نلفت النظر إليه أن هؤلاء القدماء الذين نسب إليهم رفضهم الاستشهاد بالحديث لم يثيروا هذه المسألة، ولم يناقشوا مبدأ الاحتجاج بالحديث، وبالتالي لم يصرحوا برفض الاستشهاد به. وإنما هو استنتاج من المتأخرين الذين لاحظوا –خطأ– أن القدامى لم يستشهدوا بالحديث، فبنوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به، ثم حاولوا تعليل ذلك(٢).

الثالث: التفصيل، قال أبو الحسن الشاطبي(ت٧٩٠ هـ):" وَأما الحَدِيث فعلى قسمَيْنِ: قسم يعتني ناقله بِمَعْنَاهُ دون لَفظه، فَهَذَا لم يَقع بِهِ استشهاد أهل اللِّسَان، وَقسم عرف اعتناء ناقله بِلَفْظِهِ؛ لمقصود خَاص، كالأحاديث الَّتِي قصد بهَا بَيَان فصاحته . ' . ككتابه لهمدان(٣)، وَكتابه

(١) الاقتراح في علم أصول النحو(ص٥٢).

(٢) البحث اللغوي عند العرب(ص٣٥).

(٣) ينظر نص هذا الكتاب في المعجم الكبير للطبراني(١٧/٥٠/١٠٧)

لِوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ (١)، والأمثال النَّبَوِيَّة، فَهَذَا يَصح الاستشهاد بِهِ فِي الْعَرَبِيَّة"(٢).

والذي يظهر لي في ذلك المذهب الأول لما يأتي:

١ . الإجماع على أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . أفصح العرب لسانا، يقول ابن جزم (ت٤٥٦هـ):" **لقد كان محمد بن عبد الله . صلى الله عليه وسلم . قبل أن يكرمه الله بالنبوة، وأيام كان بمكة أعلم بلغة قومه وأفصح، فكيف بعد إذ اختصه الله واجتباه لوساطة بينه وبين قومه**"(٣).

٢- **أن الأحاديث أصح سندًا من كثير مما ينقل من أشعار العرب**، ولهذا قال صاحب الفيومي (ت: نحو ٧٧٠هـ) بعد أن استشهد بحديث أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ»(٤)

على أن الثناء يُسْتَعْمَلُ فِي الخير والشر:"...وَقَدْ نُقِلَ النَّوْعَانِ فِي وَاقِعَتَيْنِ تَرَاخَتْ إحْدَاهُمَا عَنْ الْأُخْرَى مِنْ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنْ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنْ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ عَنْ أَفْصَحِ الْعَرَبِ، فَكَانَ أَوْثَقَ مِنْ نَقْلِ أَهْلِ اللُّغَةِ فَإِنَّهُمْ

---

(١) وَائِلُ بنُ حُجْرِ بنِ سَعْدٍ أَبُو هُنَيْدَةَ الحَضْرِمِيُّ، أَحَدُ الأَشْرَافِ، كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ.لَهُ: وِفَادَةٌ، وَصُحْبَةٌ، وَرِوَايَةٌ.(سير أعلام النبلاء ٥٧٢/٢).

(٢) خزانة الأدب(١٣/١).

(٣) نقلا عن: النحويون والحديث الشريف، دراسة في إشكالية الاستشهاد النحوي: صالح أحمد صافار، مجلة الساتل، (ع٢) (س١) يونيو ٢٠٠٧م، (ص٥٢)

(٤) صحيح البخاري(١٣٦٧/٩٧/٢)

قَدْ يَكْتَفُونَ بِالنَّقْلِ عَنْ وَاحِدٍ وَلَا يُعْرَفُ حَالُهُ فَإِنَّهُ قَدْ يَعْرِضُ لَهُ مَا يُخْرِجُهُ عَنْ حَيِّزِ الِاعْتِدَالِ مِنْ دَهَشٍ وَسُكْرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِذَا عُرِفَ حَالُهُ لَمْ يُحْتَجَّ بِقَوْلِهِ وَيَرْجِعُ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ إِلَى النَّفْيِ، وَكَأَنَّهُ قَالَ لَمْ يُسْمَعْ فَلَا يُقَالُ وَالْإِثْبَاتُ أَوْلَى.... وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ إِنَّمَا اُسْتُعْمِلَ فِي الشَّرِّ فِي الْحَدِيثِ لِلِازْدِوَاجِ وَهَذَا كَلَامُ مِنْ لَا يَعْرِفُ اصْطِلَاحَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ"(١).

٣- **أن كثيرًا من الأحاديث دُوِّن في الصدر الأول قبل فساد اللغة على أيدي رجال يحتج بأقوالهم في العربية؛** فالتبديل على فرض ثبوته إنما كان ممن يسوغ الاحتجاج بكلامه، فغايته تبديل لفظ يصح الاحتجاج به بلفظ كذلك (٢).

٤ . قال أبو العباس ثعلب (٢٠٠ – ٢٩١ هـ): السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة(٣).

والشاهد الذي استشهد به ابن حبيش حديث ورد في صحيح البخاري، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ، ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»(٤)، وَقَوْلُهُ: " **مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟** " كَالتَّقْرِيرِ وَالْبَيَانِ ؛ لِأَنَّ " مَا " اسْتِفْهَامِيَّةٌ مُتَضَمِّنَةٌ مَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ، " **وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ؟** " عَبَّرَ عَنِ الرَّحْمَةِ بِالْخَزَائِنِ لِكَثْرَتِهَا

(١) المصباح المنير (ث ن ي) (٨٥/١)
(٢) البحث اللغوي عند العرب(ص٣٥).
(٣) مجالس ثعلب (ص٤٠)
(٤) صحيح البخاري(١١٥/٣٤/١).

وَعِزَّتِهَا، وَعَنِ الْعَذَابِ بِالْفِتَنِ ؛ لِأَنَّهَا أَسْبَابٌ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى الْعَذَابِ وَجَمَعَهُمَا لِسَعَتِهِمَا وَكَثْرَتِهِمَا(١).

❖ **ـ ويجب أن نؤكد على أمر ذكره ابن حبيش،** هو أنه استعمل مصطلح (**الصحاح**) إشارة منه إلى حجيتها في اللغة، وقد أطلقت على" **الكُتُبِ السِّتَّةِ** وهي: صحيح البخاري(ت٢٥٦هـ) ومسلم(ت٢٦١هـ) وأبي داود (ت٢٧٥هـ) والترمذي(ت٢٧٩هـ) والنسائي(ت٣٠٣هـ) وابن ماجة(ت٢٧٢هـ)"(٢)،وعدها جهابذة العلماء دواوين الإسلام فعنوا بها وبروايتها وتدقيقها، فاشتهرت في بلاد الإسلام، وذاع صيتها بين الأنام.

إنني أرى أن نحتج بما صح سندا في الكتب الستة وغيرها من دواوين السنة كموطأ مالك (ت١٧٩هـ) ومصنف ابْن أبي شيبَة(ت٢٣٥هـ) ومسند أَحْمد(ت٢٤١هـ) وصحيح ابْن حبَان(ت٣٥٤هـ) والمعاجم الثَّلَاثَة للطبراني(ت٣٦٠هـ) وَسنَن الْبَيْهَقِيّ(ت٤٥٨هـ)، وَغَيرهَا من الْكتب الْكِبَار، إنها مجموعة النصوص الدينية الموثوق بصحتها، والمنقولة بالسند الصحيح عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد وقع الإجماع على نقاء ما صح سندها منها وصفائها وخلوّها من الأحاديث المدسوسة أو الموضوعة.

(١) مرقاة المفاتيح(٣/٩٢٣).

(٢) وفيات الأعيان (٤/٢٨٧)

❁ خامسا: الاستشهاد بالشعر:

قسم العلماء الْشعراء على طَبَقَات:

الطَّبَقَـة الأولـى: الشُّعَرَاء الجاهليون وهم قبل الْإِسْلَام كامرئ الْقَيْس والأعشى.

الثَّانِيَـة: المُخَضْرَمون(١)، وهم الَّذين أدركوا الْجَاهِلِيَّة وَالْإِسْلَام كلبيد وَحسان.

الثَّالِثَة: المتقدمون وَيُقَال لَهُم الإسلاميون، وهم الَّذين كَانُوا فِي صدر الْإِسْلَام كجرير والفرزدق(ت١١٠هـ).

الرَّابِعَة: المولدون، وَيُقَال لَهُم المحدثون، وهم من بعدهمْ كبشار بْن برد(٩٥ – ١٦٧ هـ) وَأبي نواس(١٤٦ – ١٩٨ هـ).

فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إِجْمَاعًا، وَأما الثَّالِثَة فَالصَّحِيح صِحَة الاستشهاد بكلامها.... وَأما الرَّابِعَة فَالصَّحِيح أَنه لَا يستشهد بكلامها مُطلقًا، وَقيل يستشهد بِكَلَام من يوثق بِهِ مِنْهُم (٢).

---

(١)مخضرمون . بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة، يليها ميم . قال ابن خلكان: إنه سمع فيه محضرم بالحاء المهملة وكسر الراء، واستغربه، وهو من قال الشعر في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام كلبيد، وقد يقال لكل من أدرك دولتين، وأطلقه المحدثون على كل من أدرك الجاهلية، وأدرك حياة النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم . وليست له صحبة، ولم يشترط بعض أهل اللغة نفي الصحبة، وفي المحكم: رجل مخضرم إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام، وقال ابن فارس: إنه من الأسماء التي حدثت في الإسلام، وهو من قولهم لحم مخضرم إذا لم يدر من ذكر هو أم أنثى، أو من خضرم الشيء إذا قطعه، وخضرم فلان عطيته إذا قطعها، فكأنهم قطعوا عن الكفر إلى الإسلام، أو لأنّ رتبتهم في الشعر نقصت، لأنّ حال الشعراء تطامنت بنزول القرآن كما قاله ابن فارس(حاشية الشهاب:١/٤٠٥)

(٢) خزانة الأدب (١/٦)

. وذكر بعض العلماء أن بعد المولدين محدثون وهم من بعدهم كأبي تمام(ت٢٣١هـ) والبحتري(ت٢٨٤هـ)، ومتأخرون كمن حدث بعدهم من شعراء الحجاز والعراق، ولا يستدل بشعر هؤلاء بالاتفاق، كما يستدل بالجاهليين والمخضرمين والإسلاميين في الألفاظ بالاتفاق(١).

وقد استشهد ابن حبيش بأربعة عشر شاهدا يمكن تصنيفها كالآتي:

أ . ما يستشهد به اتفاقا، وهو الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام، وهي:

١ . قال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ (٠٠٠ – ٥ هـ) يَرْثِي قَتْلَى قُرَيْشٍ:

مَـــــاذَا بِبَـــــدْرٍ، فَـــــالعَقَنْ قَـلِ مِـنْ مَرَازِبَـةٍ جَحَـاجِحِ؟(٢)

---

(١) حاشية الشهاب (٤٠٥/١)

(٢) طبقات فحول الشعراء(٢٦٣/١) والعين للخليل (باب الحاء مع الجيم) (١١/٣) وسيرة ابن هشام(٣٠/٢) وشعراء النصرانية(٢٢٣/٢) والبيت ليس في ديوان أمية بن أبي الصلت، والجَحْجَحُ: السَّيِّدُ السَّمْحُ؛ وَقِيلَ: الْكَرِيمُ، وَلَا تُوصَفُ بِهِ المرأَة(لسان العرب: ج ح ج ح) والجحجاح السَّيِّد الْعَظِيم، وَالْجمع الجحاجيح.... قَالَ أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن بَرى النحوي: الْجمع الجحاجيح وَإِنَّمَا حذف الشَّاعِر الْيَاء من الجحاجيح ضَرُورَة، وَقَالَ الجوهري: جمع الجحجاح جحاجح، وَإِن شِئْت جحاجيح، وَإِن شِئْت جحاجحة وَالْهَاء عوض من الْيَاء المحذوفة، ولابد مِنْهَا أَو من الْيَاء وَلَا يَجْتَمِعَانِ (شرح ديوان المتنبي للعكبري ٢٤٢/١)، و«العَقَنْقَل» كَثِيبٌ مُتَداخِلٌ مِنَ الرَّمْل وَأَصْلُهُ ثُلاَثِيٌّ.(النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٢/٣)، وأما المَرازِبةُ مِنَ الفُرْسِ فمُعَرَّبٌ، الواحِدُ مَرْزُبانٌ، بِضَمِّ الزَّايِ... وَهُوَ الفارِسُ الشُّجاعُ، المقدّمُ عَلَى القَوْمِ دُونَ المَلِك (لسان العرب: ر ز ب)

ـ عَن الزُّهْرِيّ: قَالَ: رخّص رَسُول الله . صلى الله عليه وسلم . فِي الْأَشْعَار كلهَا إِلَّا هَاتين الْكَلِمَتَيْنِ: الَّتِي قَالَ أُميَّة بن أبي الصَّلْت فِي أهل بدر:

مَـــــاذَا ببـــــدر فالعقنقـــــل مـــــن مرازبـــــة جحـــــاجح

وَالَّتِي قَالَ الْأَعْشَى فِي عَلْقَمَة بن علاثة:

شَـــاقَكَ مِـــنْ قَتْلَـــةَ أَطْلالُهَـــا بالشَّـــطِّ فـــالوُتْر إِلى حـــاجِرِ

(خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٤٠١/٣)

وهي قصيدة نهى رسول الله ‘ عن روايتها (١).

٢ . وقال الوليد بن يزيد (٨٨ – ١٢٦ هـ) يرثي نديمه القاسم بن الطويل:

لله قبـــــرٌ ضُـــــمِّنت فيـــــه عظـــــامُ ابـــــن الطويـــــل

مـــــاذا تضـــــمَّن إذ ثَـــــوَى فيـــــه مـــــن اللّـــــبّ الأصـــــيل(٢)

٣ . قال أبو دَهْبَل(٣)

مَـاذَا رُزِئنـا غداةَ الخَـلِّ مـنْ رِمَـعٍ عِنْدَ التفرُّقِ، مِن خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمِ

ظَـلّ لنـا وَاقِفًـا يُعْطـي فَـأكْثر مَـا قُلْنَا وَقَالَ لنا فِي وَجهه نعم (٤)

سياق الشاهد: كَانَ من حَدِيث هَذِه الأبيات أَن ابْن الْأَزْرَق، الَّذِي يُقَال لَهُ الثبت بن عبد الرَّحْمَن بن الْوَلِيد المَخْزُومِي كَانَ واليا على بعض الْجِهَات أَيَّام ابْن الزبير، فَعَزله ابْن الزبير وَولى مَكَانَهُ ابْنا لسعد بن أبي وَقاص، يُقَال لَهُ إِبْرَاهِيم، فَخرج حَتَّى ذهب إِلَى عمله، فَقَالَ لِابْنِ الْأَزْرَق: هَلُمَّ حِسَابك، فَقَالَ لَهُ ابْن الْأَزْرَق: مَالك عِنْدِي حِسَاب، وَلَا بيني وَبَيْنك

(١)مصادر الشعر الجاهلي: ناصر الدين الأسد(ص٣١٤).

(٢)الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني(٧٨/٧) وحماسة القرشي(ص٢٠١).

(٣)اسْمه وهب بن زَمعَة بن أسيد أحد بني جمح بن عَمْرو، وَكَانَ أَبُو دهبل جميلا شَاعِرًا إسلاميا، قَالَ الشّعْر فِي آخر خلَافَة عَليّ بن أبي طَالب وَكَانَ محسنا مجيدا، وَأَكْثر شعره فِي عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن الْأَزْرَق وَالِي الْيَمَامَة، ومدح مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان وَعبد الله بن الزبير وَقد كَانَ ولاه بعض أَعمال الْيمن، وَكَانَ يشبب بِامْرَأَة من قومه، وَكَانَ أَبُو دهبل لَا يُفَارق مجلسها وَكَانَت هِيَ أَيْضا محبَّة لَهُ وَكَانَ أَبُو دهبل سيدا من أَشْرَاف بني جمح، وَكَانَ يحمل الدِّيات فِي مَاله، وَيُعْطِي الْفُقَرَاء، ويقري الضَّيْف، وَكَانَت لَهُ نَاقَة لم يكن فِي زمانها أَسِير مِنْهَا، وَله فِيهَا شعر حسن (شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١١٢/٢)

(٤) الحماسية رقم (٧٠٦) لأبي دهبل، وشرح ديوان الحماسة(٢٨٢/٢) ولسان العرب (ر م ع) ورِمَعٌ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ

عمل، وَخرج مُتَوَجها إِلَى مَكَّة، وَكَانَ مَعَه أَيَّام ولَايَته أَبُو دهبل، فَاسْتَأْذن ابْن الْأَزْرَق أَن يُقيم مَعَ إِبْرَاهِيم فَأذن لَهُ، فَأَقَامَ أَبُو دهبل مَعَ إِبْرَاهِيم، فَلم يصنع بِهِ خيرا، فَأَنْشد هَذِه الأبيات.

والخلّ ورمع موضعان بِالْيمن(١)،والخيم: السجية والطبيعة(٢)،مَعْنَاهُ: أَنهم أصيبوا بذهاب هَذَا الممدوح، وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُم خصاله الحميدة، وفِي وَجهه أَي فِي سَفَره الَّذِي يتَوَجَّه فِيهِ إِلَى مقْصده، وَالْمعْنَى: أَن أَكثر شَيْء قُلْنَاهُ لَهُ حِين سألناه الْعَطاء، وَأَكْثر شَيْء قَالَه لنا حِين عزم على السّفر هُوَ لفظ نعم، وَالْمرَاد من هَذَا الْكَلَام أَنه كثير الْعَطاء والجود(٣).

٤. قال كعب بن سعد الغنوي (٠٠٠ – نحو ١٠ ق هـ) يرثي أخاه أبا المغوار:

هَـوَتْ أمُّـهُ مـا يَبْعَـثُ الصُّـبْحَ ومَـاذَا يـردُّ اللَّيـلُ حـينُ يَـؤُوبُ

قال اللَّيْثُ: إِذَا قَالَتِ الْعَرَبُ لَا أُمَّ لَكَ فَإِنَّهُ مَدْح عِنْدَهُمْ؛ وقال غَيْرُهُ: وَيُقَالُلَا أُمَّ لَكَ، وَهُوَ ذَمٌّ، قَالَ أَبو عُبَيْدٍ(ت٢٢٤هـ): زَعَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ قَوْلَهُمْ لَا أُمَّ لَكَ قَدْ وُضِعَ مَوْضِعَ المَدح؛ قَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الغَنَويّ يَرْثِي أَخاه:

هَـوَتْ أُمُّـه مَـا يَبْعَـث الصُّـبْح وَمَاذَا يُؤدّي الليلُ حينَ يَؤوبُ؟

(١) معجم البلدان (٣٨٤/٢)(٦٨/٣)

(٢)الخِيمُ، بالكَسْر: السَّجِيَّة والطَّبِيعَة (تاج العروس: خ ي م)

(٣) شرح ديوان الحماسة(٢٨٢/٢)

(٤) البيت من الطويل لكعب بن سعد الغنويّ يرثي أَبَا المغوار الْبَاهِلِيّ في الأمالي(١٥٠/٢) والأصمعيات (ص ٩٥)، وولسان العرب (أ م م) و(هـ وا)، ويروى:

هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحَ غَادِياً ومَاذَا يُؤَدِّي اللَّيلُ حينُ يَثُوبُ

قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ فِي هَذَا الْبَيْتِ: وأَيْنَ هَذَا مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبو عُبَيْدٍ؟ وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا كَقَوْلِهِمْ: وَيْحَ أُمِّه ووَيْلَ أُمِّه، والوَيلُ لَهَا، وَلَيْسَ لِلرَّجُلِ فِي هَذَا مِنَ المَدْح مَا ذهَب إِلَيْهِ، وَلَيْسَ يُشْبِه هَذَا قَوْلَهُمْ لَا أُمَّ لَكَ لأَن قَوْلَهُ لَا أُمَّ لَكَ فِي مَذْهَبِ لَيْسَ لَكَ أُمٌّ حُرَّة، وَهَذَا السَّبُّ الصَّريح، وَذَلِكَ أَنّ بَني الإِماء عِنْدَ الْعَرَبِ مَذْمومون لَا يَلْحَقُونَ بِبَني الحَرائر، وَلَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ لَا أُمَّ لَكَ إِلَّا فِي غضَبه عَلَيْهِ مُقَصِّراً بِهِ شاتِماً لَهُ، قَالَ: وأَمّا إِذَا قَالَ لَا أَبا لَك، فَلَمْ يَترك لَهُ مِنَ الشَّتِيمَة شَيْئًا، وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ لَا أُمَّ لَكَ، يَقُولُ أَنْتَ لَقِيطٌ لَا تُعْرَف لَكَ أُمٌّ.

قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ فِي تَفْسِيرِ بَيْتِ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ: قَوْلُهُ "هَوَتْ أُمُّه"، يُسْتَعْمَل عَلَى جِهَةِ التعَجُّب كَقَوْلِهِمْ: قاتَله اللَّهُ مَا أَسْمَعه مَا يَبْعَث الصبحُ: مَا اسْتِفْهَامٌ فِيهَا مَعْنَى التعَجُّب وَمَوْضِعُهَا نَصْب بيَبْعَث، أَيْ: أَيُّ شيءٍ يَبعَثُ الصُّبْح مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ أَي إِذَا أَيْقَظه الصُّبح تصرَّف فِي فِعْل مَا يُريده. وغادِياً مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ وَالْعَامِلُ فيه يَبْعَث، ويَؤُوب: يَرجع، يُرِيدُ أَن إِقْبال اللَّيل سَبَب رُجُوعِهِ إِلَى بَيْتِهِ كَمَا أَن إِقْبال النَّهَارِ سَبَب لتصرُّفه [(١)]، ومعنى "ما يبعث الصبح" إمعانه في وصفه بالجلد حين يصبح، أي ما يبعث الصبحُ منه وكذلك ماذا يؤدي الليلُ منه حين يمسي، فحذف "منه" كما يُقَال: السَّمْنُ مَنَوَان بدرهم، أي منوان منه بدرهم [(٢)].

قال الْفَرَّاءُ (ت٢٠٧هـ) فِي قَوْلِهِ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[القارعة:٩] قَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا دعاءٌ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ هَوَتْ أُمه عَلَى قَوْلِ الْعَرَبِ... وَمَعْنَى هَوَتْ أُمُّه أَي: هلَكَت أُمُّه، وَتَقُولُ: هَوَت أُمُّه فَهِيَ هاوِيَةٌ أَي ثاكِلةٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمّه هَاوِيَةٌ صارَتْ هاويةٌ مأْواه، كما تُؤْوي المرأَةُ ابْنَهَا، فَجَعَلَهَا إِذْ لَا

(١) لسان العرب(أ م م)
(٢) مجمع الأمثال(٢/٣٩٠)

مأْوى لَهُ غَيْرَها أُمًّا لَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[القارعة:٩] أُمُّ رأْسه تَهْوِي فِي النَّارِ (١).

٥. قالت الخنساء (٠٠٠ – ٢٤ هـ) ترثي أخاها صخراً:

أَلاَ ثَكِلَتْ أُمُّ الذين غَدَوْا به إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر؟!
وماذا يُواري القبرُ تحت ترابه من الجود! يا بؤس الحوادث والدهر! (٢)

٦. قال جرير (٢٨ – ١١٠ هـ) وهو في الحماسة:

إنَّ الَّذين غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا وشَلاً بِعَيْنِكَ لَا يزَالُ مَعِينا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى ولَقِينا؟ (٣)

---

(١) لسان العرب(هـ وي)

(٢) البيتان من الطويل في ديوان الخنساء (ص ٥٥٥٤)، وفيه «مشوا» بدل «غدوا" و«الخير» بدل «الجود».

(٣) البيتان من الكامل لجرير في ديوانه (ص ٤٣٨) من قصيدة يهجو الأخطل ،وللمعلوط الأسدي في شرح ديوان الحماسة (م) ١٣٨٢، والشعر والشعراء(٦٨/١) وفي العمدة في محاسن الشعر وآدابه(٢٨٤/٢):"إن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير"، ومَعْنَاهُ أَنهنّ سَيَّلْنَ دُمُوعَهُنَّ حَتَّى نَزَفْنَها، قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: مَنْ هَاهُنَا لِلتَّبْعِيضِ، وَتَكُونُ زَائِدَةً عَلَى قَوْلِ أَبِي الْحَسَنِ لأَنه يَرَى زِيَادَةَ مِنْ فِي الواجِبِ..(تهذيب اللغة غ ي ض)(١٤٦/٨) ولسان العرب(غ ي ض)، و"غادروا": تركوا، والوشل الماء القليل، و"المعين" الماء الصافي الجاري، و"غيضن من عبراتهن" أي كففنها ومسحنها حتى تغيض (الأغاني٣٤٢/١٦)، وَقَالَ اللَّيْثُ: هُوَ أَنْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ بُكَاءً فَلَا تُجِيبُه العَيْنُ. قَالَ الأَزْهَرِيّ: هذَا الحَرْفُ لم أَجِدْه لغَيْره، وأَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَحِيحاً. قَالَ الصّاغَانِيّ: وأَنْشَدَ العَزِيزِيّ فِي هَذَا التّرْكِيب لِجَرِير:

غَبَّضْنَ من عَبَرَاتِهِنَّ وقُلْنَ لِي ماذَا لَقِيتَ من الهَوَى ولَقِينَا

والرِّوايَة: غَيَّضْن باليَاءِ التحتيةّ لَا غَيْر، كَمَا فِي العُبَاب.(غ ي ض) " فقال: لمن هذا؟ فقالوا: لجريرٍ، فقال الفرزدق: ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري، وأحوجني مع فسوقي إلى رقةِ شعره!" (الكامل للمبرد١٩٣/٢).

والاستفهام فِي قَوْله:(**مَاذَا لقِيت** الخ) للتعظيم والتفخيم، وَالْمعْنَى: أَنَّهُنَّ أقللن من دُمُوعهنَّ وأخذنها بأطراف الْأَصَابِع مَخَافَة الرقباء، وقلن لي: أَلَيْسَ بعظيم مَا لَقيته من الْهوى ولقيناه؟ (١).

وإذا كان ابن حبيش يرى أن (ماذا) في هذا البيت تحمل دلالة التكسير؛ فإن ابن الشجري (ت: ٥٤٢هـ) يذكر أن (ماذا) في هذا تحمل دلالة التعجب، يقول:" وممّا جاء بلفظ الاستفهام ومعناه الوعيد قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف:٥] معناه: أفنتركم ولا نذكّركم بعقابنا؟، وممّا جاء بمعنى الحثّ قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[البقرة:٢٤٥] [الحديد:١١]، ويكون تهدّدا على جهة التنبيه، كقوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المرسلات:١٦] إلى آخر القصة، ويكون تحذيرا كقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾[آل عمران:٢٥]، ويكون تعجّبا، كقول جرير:

غيّضن من عبراتهنّ وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا "

٧ . قالت أم الصريح(٣):

هَوَتْ أمُّهم ماذا بهم يومَ صُرعوا بجيشانَ من أسبابِ مجدٍ تصَرَّما(٤)

أرادت: ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما؟

---

(١)شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ): يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢ هـ)(١٤٧/٢).

(٢)أمالي ابن الشجري(٦٢٩/١).

(٣) ينظر خبرها في: بلاغات النساء: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت: ٢٨٠هـ) (ص١١٨)، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨ م.

(٤) من الطويل لأم الصريح في الحماسية (ص٣١٨).

ب . ما ذكره مجهول النسبة، وهي:

١. جاء في الحماسة:

مَــاذَا أجــال وثيــرة بــن ســماك مــن دمــع باكيــة عَلَيْــهِ وبــاك

ذهــب الَّــذِي كَانَــت معلقَــة بِــهِ حدق العنـاة وأنفس الْهَـلَاك [(١)]

وأجال[(٢)] من جولان الدمع أَي سيلانه وجريه من الْعين، ووثيرة اسْم رجل، وَالْمعْنَى: أَي شَيْء أَكثر جولانه وثيرة بن سماك من انصباب دموع الباكيات عَلَيْهِ والباكين؟!فَإِن هَذَا الْحزن صرنا مِنْهُ فِي حيرة، والعناة وَاحِدهَا عان وَهُوَ الْأَسير، والهلاك الْفُقَرَاء، وَالْمعْنَى: مضى لسبيله من كَانَ يفك الأسراء وَيطْعم الْفُقَرَاء وَقد كَانُوا لَا يلجأون إِلَّا إِلَيْهِ فِي حَيَاته(٣).

٢ . وفي الحماسة أيضاً:

ألا تــرين وقــد قطعتنــي عــذلاً مَاذَا من الْبعد بَين الْبُخْلِ والجودِ

(أَلا) أَدَاة يُنَبـه بهَـا، وَمعنـى (قطعتنـي عـذلا) أَي أوجعتنـي ملامـة، وَقَولـه(**مَـاذَا مـن الْبعد**) اسْتِفْهَام علـى طَرِيق التهويل والتفخيم، كَأَنَّهَا كَانَت تلومه على كَثْرَة الْجُود، وَلَا تنظر مَا بَين الْبُخْل والجود من الْبعد، فَيَقُول: أَلا تنظرين إِلَـى الْبعد الشاسـع بَـين الْجُـود وَالْبخـل، فَلَـيْسَ لَـك أَن تلـوميني فِـي الْعَطاء [(٥)].

(١) من الكامل في الأمالي(٢٧٦/١) وشرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ): أبو زكريا التبريزي(ص٣٨٩).

(٢) ويروى: أحال: صبّ، يُقَال: إنه ليحيل الماء من البئر فِي الحوض أي يصب، وقَالَ لبيد: يحيلون السجال عَلَى السجال (الأمالي(٢٧٦/١).

(٣) شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ): أبو زكريا التبريزي(ص٣٨٩).

(٤) الحماسية رقم (٦٨٥).

(٥) شرح ديوان الحماسة للتبريزي(٢٦٢/٢).

٣ . وقال صاحب الزهر: أنشد أبو حاتم(ت٢٥٥ هـ) ولم يسم قائله:

ألا فـي سـبيل الله مـاذا تضـمنت بطـــون الثـــرى واســـتودع البلـــد
بـدورٌ إذا الـدنيا دجـت أشـرقت وإن أجـدبت يومـاً فأيـديهم القطـر
فيـا شـامتاً بـالموت لا تشـمتن حيـــاتهم فخـــرٌ ومـــوتهم ذكـــر
حيـاتهم كانـت لأعـدائهم عمـىً ومـــوتهم للفـــاخرين بهـــم فخـــر
أقـاموا بظهـر الأرض فاخضـرّ وصـاروا بـبطن الأرض فاسـتوحش

ج . شعر المولدين:

١. قال أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ – ٣٥٤ هـ):

مـاذا لقيتُ مـن الـدُّنيا وأعْجَبُهـا أنّي بما أنا باكٍ منـه محسود (٢)

قال: ماذا لقيت من الدنيا وتصرفها، ومن الأيام وتقلبها، وأعجب ما خبرتمن ذلك وباشرت، وأغرب ما أبصرت منه وشاهدت، أني أحسد على ما هو يبكي ويحزن، وأنافس في ما مثله يوجع ويؤلم(٣)،يريد أن الشعراء يحسدونه على كافور، وهو باكٍ بما يلقى من كافور وبخله، فهو يشكو من عجائب الدهر وتصاريفه، ثم يقول أعجبها ما أنا فيه، ذلك أني محسود بما أشكوه وأبكيه(٤).

(١) من الطويل في زهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني(٨٥٢/٣) والأمالي(١١٩/٢) ووفيات الأعيان(٢٣٩/٧).
(٢)من البسيط، ديوانه (٢٧١/٢).
(٣)شَرْح شِعْر المُتَنبي:لابن الإفليلي (٨٣/٢)
(٤)شرح ديوان المتنبي (٤١/٢)

٢ . وقوله أيضاً:

وماذا بمصرَ من المُضْحِكَاتِ ولكنه ضَحِكٌ كَالبُكَا (١)

يقول: وماذا بمصر من الأمور المضحكة، والأعاجيب المستغربة، وإنكان ذلك الضحك كالبكاء عند النظر والتبين، والاحتمال على حقيقة التأمل[٢]،يتعجب مما رأى بمصر مما يضحك الناس والعقلاء ثم قال لكن ذلك الضحك كالبكاء.

د . شعر المتأخرين:

١ . من ملح المتأخرين: كان بمرسية أبو جعفر الملقب بالبقيرة، قال فيه بعض أهل عصره:

قالوا: البقيرة يهجونا فقلتُ لهم: ماذا دُهيتُ به حتى من البَقَرِ

هذا وليسَ بثورٍ بَل هو ابنتهُ وأين منزلةُ الأنثى من الذكَر [٣]

٢. وأنشد صاحب الزهر، ولا أذكر قائله:

مَاذَا لَقيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبينَ وَمِنْ قِياسِ قَوْلِهِمِ هَذَا الَّذي ابْتَدَعوا

إنْ قُلْتُ قافِيَةً بِكراً يَكونُ لَها معنىً يُخالِفُ مَا قَالُوا وَمَا وَضعوا

قَالُوا لحَنْتَ وَهَذَا الحرفُ مُنْتصِبٌ وذاكَ خفضٌ وَهَذَا ليسَ يَرْتَفعُ

وَضَرَّبوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ واجْتَهَدُوا وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطالَ الضَّرْبُ والوَجَعُ [٤]

---

(١) من متقارب التام في ديوانه (ص١١).

(٢)شَرْح شِعْر المُتَنبي لابن الإفليلي (٥١/٢)

(٣) لم أقف على نسبته، ولم أقف على أحد ذكره غير صاحب نفح الطيب.

(٤) الأبيات من البسيط لعِمارة الكَلْبيّ في (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي (١٣١٩/٢) والإمتاع والمؤانسة(ص٢٥٤) وشرح ديوان المتنبي للعكبري(٢٨٩/١)و الفتح على أبي الفتح: لا بن فُورَّجَة (ص١٠٨)

قَالَ ابْن فُورَّجَة (٣٨٠ – نحو ٤٥٥ هـ): عمارة الكلابي رجل مُحدث لحنة[١]

وهنا مسألتان:

الأولى: مكانة (الحماسة) من الاستشهاد اللغوي:

استشهد ابن حبيش بأربعة شواهد من الحماسة وذكر أن العلماء "قد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما في الحماسة"، وهذا الإجماع محل نظر؛ نظرا لورود شعر لمولّدين كمسلم بن الوليد(ت٢٠٨هـ)[٢]،كما ورد فيها شعر مجهول النسبة، وهذا أمران اختلف العلماء فيهما من حيث الاستشهاد، مع أن العلماء قد أبانوا عن مكانة الحماسة، قال أبو زكريا التبريزي (ت: ٥٠٢هـ)" مَا روى من شعر الْعَرَب شَيْء كثير لَا يحاط بِهِ، وَإِن قصر عَلَيْهِ الْعُمر، فَكَانَت الْحَاجة ماسة إِلَى مَجْمُوع يقوم مِنْهَا مقَام الْخُلَاصَة، وَلم نجد من ذَلِك أحسن وَلَا أوفى من كتاب الحماسة الَّذِي اخْتَارَهُ ملك الْكَلَام أَبُو تَمام (ت ٢٣١ هـ)، فقد كَانَ للرجل من المحفوظات مَا لَا يلْحقهُ فِيهِ غَيره، قيل: إِنَّه كَانَ يحفظ أَرْبَعَة عشر ألف أرجوزة للْعَرَب غير القصائد والمقاطيع[٣]،هَذَا عدا مَا اطلع عَلَيْهِ فِي خزانَة كتب أبي الْوَفَاء الْعَظِيمَة الَّتِي جمع مِنْهَا هَذَا الْكتاب، وَعدا أَنه شَاعِر بَصِير بمحاسن الْكَلَام، وعيون النظام، خَبِير بِالنَّقْدِ، ومطلع بِهَذَا الْفَنّ، وَلِهَذَا عد جَمِيع الأدباء كتاب الحماسة الْمَذْكُور أفضل كتاب مَجْمُوع من شعر الْعَرَب "[٤].

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري(٢٨٩/١).

(٢) ينظر: ديوان الحماسة (٣٩١/١)

(٣) مَقَاطِيعُ الشِّعْرِ: مَا تَحَلَّلَ إليهِ ويَتَرَكَّبُ مِنه من أجزَائِه الّتِي يُسَمِّيها العَرُوضِيُّونَ الأَسْبَابَ والأَوْتادَ(تاج العروس: ق ط ع).

(٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزي (ص٢)

وقال ابن خلكان(ت: ٦٨١هـ):" وله كتاب (الحماسة) التي دلت على غزارة فضله، وإتقان معرفته بحسن اختياره"[١]،ولأبي تمام كتاب الحماسة الصغرى، وهو كتاب (الوحشيَّات). وهذا الكتاب اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، رحمه الله، بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى، ولم يروه، ولكن وُجد بعده مكتوباً في مسودة بخطه مترجماً بكتاب (الوحشيات)[٢].

المسألة الثانية: الاستشهاد بالمولد:

جاء في لسان العرب:" رَجُلٌ مُوَلَّدٌ إِذا كَانَ عَرَبِيًّا غَيْرُ مَحْضٍ... وإِنما سُمِّي المُوَلَّد مِنَ الْكَلَامِ مُوَلَّداً إِذ اسْتَحْدَثُوهُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِهِمْ فِيمَا مَضَى... والمُوَلَّد: المُحْدَثُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ المُوَلَّدُونَ مِنَ الشُّعَرَاءِ إِنما سُمُّوا بِذَلِكَ لِحُدُوثِهِمْ"[٣]،

وفي الاصطلاح:" ما ابتكر من الألفاظ العربية بعد عصر الاحتجاج، إما بلفظه (صيغته ومعناه معا) أو بصيغته فقط أو بمعناه، أو كان عبارة أو استعمالا كذلك"[٤]،ويقصد بالاستعمالات نوعان:

أ) الاستعمال الدلالي، أي استعمال اللفظ في مجال دلالي لم يرد عن العرب، ولا استعمل عندهم في ما هو من جنسه.

ب) الاستعمال التركيبي كاستعمال فعل ما متعديا وهو في المعاجم لازم، أو استعماله متعديا بحرف لم يعد به في المعاجم[٥].

---

(١) وفيات الأعيان(١٢/٢)

(٢) الوَحشيَّات وهوَ الحمَاسَة الصُّغرى (ص٣)

(٣) لسان العرب (و ل د)

(٤) الاستدراك على المعاجم في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس: د. محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت) (ص٤٥)

(٥)السابق (٤٨)

وللعلماء أربعة مذاهب في الاستشهاد بالمولد يمكن إيجازها كالآتي:

الأول: أكثر اللغويين لا يعتدون بألفاظ المولدين ولا بتراكيبهم اللغوية، ولا باشتقاقاتهم وتصريفاتهم مما يخالف المأثور عن أهل البادية الذين استنبطت من لغتهم القواعد، فمن" معايير علماء اللغة: عدم الاعتداد بكلام هؤلاء المولدين شعرا ونثر؛ لعدم تمكنهم من الفصحى تمكن غيرهم من الجاهليين، أو ممن ظل في البادية بعد الإسلام، والسبب في عدم تمكنهم من الفصحى هو بعدهم عن موطنها الأصل، واشتغالهم بوسائل الرفاهة في الحضر، وإلْفهم سماع اللُّكنة من مخالطيهم صغارا وكبارا، حتى لقد غدا هذا الإلف نذيرا بفقد الحس العربي بالفصحى عند بعضهم"(١)، قال الأصمعي(ت٢١٦هـ): جلست إلى أبي عمرو(ت١٥٤هـ) عشر حجج، فلم أسمعه يحتجّ ببيت إسلامي(٢).

الثاني: الاحتجاج بلغتهم عامة، دون تفرقة بين المشهور وغير المشهور، والقريب منهم من زمن الاحتجاج المتفق عليه وغير القريب، ومن له دراية لغوية أو معرفة بلهجات العرب ومن ليس له ذلك، ومن هؤلاء العلماء: ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) وابن قتيبة (ت٢٦٧هـ)(٣)، والبطليوسي(ت٥٢١هـ)(٤) والشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)(٥)،يقول ابن قتيبة (ت٢٦٧هـ):"... لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده

(١) المعيار في التخطئة والتصويب دراسة تطبيقية: د. عبد الفتاح سليم (ص١٣٨)

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٣٣/٤)

(٣) ينظر في الأمثلة على ذلك: إصلاح المنطق (ص١٧) وأدب الكاتب (٣٩١) (٤٠٢)

(٤)ينظر في الأمثلة على ذلك: الاقتضاب (١٠٨، ١٠٩)

(٥)ينظر في الأمثلة على ذلك: شرح الخفاجي على درة الغواص (٦٢، ٦٣)

في كلّ دهر، وجعل كلّ قديم حديثا في عصره،... فقد كان جرير (٢٨ – ١١٠ هـ) والفرزدق(ت١١٠هـ) والأخطل (١٩ – ٩٠ هـ) وأمثالهم يعدّون محدثين، وكان أبو عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ) يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتّى لقد هممت بروايته، ثمّ صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا..." (١)،فكل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله(٢).

الثالث: يستشهد بشعرهم في المعاني دون الألفاظ(٣).

الرابع: التوسط، فلا منع مطلقا، ولا إجازة مطلقا، وإنما ينظرون إلى حال المولّد، وحظه من الدراية اللغوية، وموقف علماء اللغة في عصره من استعماله قبولا أو رفضا، ومن هؤلاء ابن جني (ت٣٩٢هـ)(٤)،الذي يستشهد بشعر المتنبي(ت٣٥٤هـ)، ثم يقول" ولا تستنكر ذكر هذا الرجل –وإن كان مولدًا– في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ولطف متسربه؛ فإن المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون، وقد كان أبو العباس(ت٢٨٥هـ) –وهو الكثير التعقب لجلة الناس– احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائي(ت٢٣١هـ) في كتابه في الاشتقاق، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه... وإياك والحنبلية بحتًا؛ فإنها خلق ذميم، ومطعم على علاته وخيم" (٥)،ويحتج لقراءة شاذة فيقول" ومن ذلك قراءة إبراهيم (٤٦ – ٩٦ هـ): ﴿وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡ﴾[الأنعام:١٣٧]بفتح

(١)الشعر والشعراء (ص٦٤)
(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه(٩١/١)
(٣) حاشية الشهاب (٤٠٥/١)
(٤) ينظر: الخصائص (٣٢٣/١ . ٣٢٧)
(٥) الخصائص (٢٥/١)

الباء[(١)]، قال أبو الفتح: المشهور في هذا لَبِست الثوب أَلْبَسه، ولَبَست عليهم الأمر أَلْبِسُه، فأما أن تكون هذه لغة لم تتأد إلينا: لبِست عليهم الأمر ألبَسه، في معنى لبَسته ألبِسه، وإما أن تكون غير هذا؛ وهو أن يراد به شدة المخالطة لهم في دينهم، فالاعتراض فيه بينه وبينهم ليشكُّوا فيه ولا يتمكنوا من التفرد به، كما أن لابس الثوب شديد المماسة له والالتباس به، فيقول على هذا: لبِست إليك طاعتَك، واشتملْتُ الثقة بك؛ أي: خالطت هذه الأشياء وماسستها؛ تحققًا بها وملابسة لها،... وقد مر به لفظًا ألبتة شاعرنا فقال:

وإنَّا إذَا ما الموتُ صَرَّحَ في لَبِسْنَا إلى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ

فإما أن يكون هذا الشاعر نظر إلى هذه القراءة، وإما أن يكون أراد المرادبها فسلك سنة قارئها، فاعرف ذلك ولا تقل ما يقوله من ضعفت نحيزته، وركَّت طريقته: هذا شاعر مُحْدث، وبالأمس كان معنا، فكيف يجوز أن يحتج به في كتاب الله جل وعز؟ فإن المعاني لا يرفعها تقدُّم، ولا يُزري بها تأخر، فأما الألفاظ فلعمري إن هذا الموضع معتبرٌ فيها، وأما المعاني ففائتة بأَنفسها إلى مغرسها، **وإذا جاز لأبي العباس أن يحتج بأبي تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالمولَّد الآخر أشبه**"[(٣)].

وعلى نهجه الزمخشري (ت٥٣٨هـ) الذي يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾ [البقرة:٢٠]:" و﴿أَظۡلَمَ﴾: يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن

(١) قراءة شاذة نسبت ليحيى والنخعي في المغني (٨٠٠/٢)

(٢) البيت من الوافر للمتنبي في ديوانه (٢٤٩)، يقول: وإنا إذا ما الموت في الحرب كشف عن وجهه، وصرح عن نفسه، لبسنا إلى ما تبتغيه الضرب والطعن، وادرعنا إليه الاعتزام والصبر.

(٣) المحتسب (٢٣١/١)

يكون متعديا منقولا من ظلم الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب[١]: (أُظْلِم)، على ما لم يسم فاعله[٢]، وجاء في شعر حبيب ابن أوس(ت ٢٣١هـ):

هُمَا أَظْلَمَا حالَيَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ظَلاَمَيْهِمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ[٣]

(١) يزيد بن قطيب السكوني الشامي، ثقة له اختيار في القراءة ينسب إليه، روى القراءة عن أبي بحرية عبد الله بن قيس صاحب معاذ بن جبل، روى القراءة عنه أبو البرهسم عمران بن عثمان الحمصي، وحدّث عنه صفوان بن عمرو ويحيى بن عبيد والوليد بن سفيان الكسائي(غاية النهاية ٣٨٢/٢).

(٢) ينظر: المغني في القراءات (٣٩١/١)

(٣) البيت من الطويل " وقال الإمام التبريزي: في شرح الديوان: جعل "أظلم" متعديا، وذلك قليل في الاستعمال، وهو في القياس جائز قياساً على قول من قال "ظلم الليل" بمعنى أظلم، فإن ادّعى أنّ "أظلم" ههنا غير متعد، وأنّ "حاليّ" منصوب انتصاب الظرف، فقوله "**أجليا ظلاميهما**" يدفعه لأنه عدى "**أجليا**" إلى الظلامين، وقوله "**عن وجه**" إلخ عنى به نفسه، وهو يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون قد شاب في حال كونه أمرد لعظم ما لاقاه من الشدائد، **والآخر:** أن يكون أراد أنه فتى في السن شيخ في العقل، وقوله "هما أظلما" أي أني صغير السن وقد شيبني عقلي ودهري. اهـ، فضميرهما للعقل والدهر على ما ذكره الإمام التبريزي، وتبعه بعض شرّاح الكشاف، وجوز التفتازاني أن يكون لإرشاد العاذلة، وتأديبها في البيت الذي قبله، وجوز في الكشف أن يكون لليوم والليلة، وهو بعيد جدا والحالان الخير والشر، أو الغنى والفقر، أو الشيب والشباب، وقيل هما الدنيويّ والأخرويّ وليس بشيء، وقيل هو عام في كل متقابلين خيراً وشراً، أو غنى وفقرا، أو مرضا وصحة، أو عسرا ويسرا، وأسند الإظلام إلى العقل، لأنّ العاقل لا يطيب له عيش، وإلى الدهر لأنه لا يسالم الحر أبدا، و"أجليا" بمعنى كشفا ظلاميهما، وأمرد أشيب تجريد كما مرّ..... وقد أورد عليه أيضا أنه يجوز أن يكون لازماً في البيت، و"حاليّ " ظرف إلا أنك قد عرفت ما يدفعه، و"ثمت" في البيت "ثم" العاطفة زيد فيها تاء التأنيث، وهو لغة فيه كـ "ربت"، وقيل إنه مخصوص بعطف الجمل، وعن المازني أنه كثريّ لا كليّ (حاشية الشهاب ٤٠٥/١).

وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه"[١].

أ . وأقره البيضاوي(ت٦٨٥هـ)[٢] وأبو السعود(ت٩٨٢هـ)[٣].

ب . ولم يرتضِ جمهور العلماء ما ذهب إليه الزمخشري من التسوية بين ما يقوله أبو تمام وما يرويه، بل ذهبوا إلى التفرقة بينهما وهو الصحيح؛ وقابلوا مسلك الزمخشري بإنكار شديد، وردّوا على تعليله « بِأَن قبُول الرِّوَايَة مَبْنِيّ على الضَّبْط والوثوق، وَاعْتِبَار القَوْل مَبْنِيّ على معرفَة أوضاع اللُّغَة الْعَرَبيَّة والإحاطة بقوانينها، وَمن الْبَين أَن إتقان الرِّوَايَة لَا يسْتَلْزم إتقان الدِّرَايَة»[٤]،ونحن لا ننكر أن أبا تمام(ت٢٣١هـ) الطائي قبيلة، مع فصاحته التامة كان من كبار الأدباء والعلماء في عصره، وديوانه مشهور شرحه الكبار[٥]،وأن المتنبّي (٣٠٣- ٣٥٤ هـ) آيةٌ في اللغة وغريبها[٦]،قال له أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ) صاحب «الإيضاح» و«التكملة»: كم لنا من الجموع على وزن فِعلى؟ فقال له: المتنّبيّ سريعا: حِجْلَى وظِرْبَى[٧]،قال الفارسي: ففتشت كتب اللغة

(١) الكشاف(٨٧/١)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل(٥٢/١)

(٣) إرشاد العقل السليم (٥٥/١)

(٤) خزانة الأدب (٧/١)

(٥) حاشية الشهاب (٤٠٤/١)

(٦) تاريخ الإسلام (٦٥/٩)

(٧) حجلى جمع حجل، وهو الطائر المسمى بالقبج، وظربى جمع ظربان، كقطران، وهي دابة منتنة الرائحة.

ثلاث ليال، فلم أجد لهما ثالثا[١]،لكن اللغويين خطأوا أبا تَمَّام (١٨٨ – ٢٣١ هـ) والْبُحْتُرِيّ (٢٠٦ – ٢٨٤ هـ) والمتنبّي (٣٠٣ – ٣٥٤ هـ) وأضرابهم من الشعراء في أشياء كثيرة، ومما يُضعف ما ذهب إليه الزمخشري أن الإنسان قد يتساهل فيما ينطق به دون ما ينقله إذا كان عدلًا، وأنه لو فُتح هذا الباب؛ لجاز الاحتجاج بكل ما وقع بشعر المحدثين.

ج ــ واعتذر السمين(ت٧٥٦هـ) عن فعل الزمخشري بأنه استئناس لا استشهاد، فقال:" وقد عابَ بعضُ الناسِ عليه في استشهاده بشعر هذا المُولَّدِ المتأخر، وليس بعيبٍ فإنه ذَكَرَه استئناساً.... واعتذر هو عن ذلك.... فكيف يُعابُ عليه شيءٌ عَرَفَه ونَبَّه عليه واعتَذَر عنه؟"[٢].

د ـ لكن أبا حيان(ت٧٤٥هـ) صرح بعدم جواز هذا الاستشهاد، فقال:" وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي كَلَامِ حَبِيبٍ(ت٢٣١هـ) فَلَا يُسْتَشْهَدُ بِهِ، وَقَدْ نُقِدَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ(ت٣٧٧هـ) الِاسْتِشْهَادُ بِقَوْلِ حَبِيبٍ:

مَنْ كَانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ رَوضُ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا[٣]

وَكَيْفَ يُسْتَشْهَدُ بِكَلَامِ مَنْ هُوَ مُوَلِّدٌ، وَقَدْ صَنَّفَ النَّاسُ فِيمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ اللَّحْنِ فِي شِعْرِهِ؟"[٤]

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري (ت: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م (٢٨٢/٤)

(٢) الدر المصون (٢٢٥/٣)

(٣) البيت من الكامل من قصيدة له في مدح نوح بن عمرو السكسكي، انظر ديوانه (٣/ ٦٧)

(٤) البحر المحيط (١٤٧/١)

وقال ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ):" يقال إن السبب في استشهاده في باب "كان" من كتاب " الإيضاح " ببيت أبي تمام الطائي وهو قول:

مَـنْ كَـانَ مَرْعَـى عَزْمِـهِ وَهُمُومِـهِ رَوضُ الْأَمَـانِي لَـمْ يَـزَلْ مَهْـزُولًا

لم يكن ذلك لأن أبا تمام ممن يستشهد بشعره، لكن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيراً، فلهذا استشهد به في كتابه"[(١)].

وقد طالب أحد المحدثين[(٢)] بتوسيع دائرة الاستشهاد، ولا تغلق المدونة على تلك الحدود التي وضعها القدامى، بل يبقى الاحتجاج بالشعر أو بالنثر مفتوحا لكل زمان شرط أن تتوفر الشروط التالية:

أولا: أن لا يكون شاذا يخرق القواعد الأصلية، ويوقع الدارس في حيرة والتباس.

ثانيا: أن ينسجم مع الذوق السليم، والحس الرهيف.

ثالثا: أن يتضمن معاني تدعو إلى الفضيلة، والمثل الرفيعة، والقيم الدينية والوطنية والقومية والإنسانية.

رابعا: أن يكون رقيق الألفاظ، بعيدا عن الحوشي الغريب.

خامسا: أن يكون سليم التركيب، ليس فيه تعقيد لفظي أو معنوي.

سادسا: أن يكون واضح المعنى؛ ليرسخ في الأذهان.

سابعا: أن تكون فيه مسحة من الجمال لتتلقاه النفوس بقبول حسن.

ثامنا: أن يناسب العصر لفظا وتركيبا ومعنى[(٣)]

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٨١/٢)

(٢) د. أحمد مطلوب في بحث له بعنوان " الشاهد النحوي"، مجلة المجمع العلمي، بغداد، عدد خاص بلغة الضاد، (ج٤) ٢٠٠١م، (ص٢٢٣)

(٣) الاحتجاج اللغوي: د. صالح بلعيد، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م (ص٨١)

ومن أعلام اللغة في أزهرنا الشريف الأستاذ الدكتور/ محمد حسن جبل رحمه الله، وقد قدم دراستين حول قضية المولد، الأولى عنوان لها بعنوان الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالاته، والثاني الاستدراك على المعاجم العربية، وانتهى إلى قبول الاستشهاد بالمولد حسب معيار ابن جني[(١)]

وبناء على هذه المذاهب فإن مقولة السيوطي(ت٩١١هـ):" أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولّدين، والمحدثين في اللغة والعربية"[(٢)] فيها نظر.

والذي أراه جواز إيراد أقوال المولدين المشهود لهم بالفصاحة والدراية اللغوية للاستئناس والتمثيل، أو لإيضاح المعنى وتأييده، لا للاحتجاج،" فهم وإن استأنسوا بأشعارهم إلا أنهم لا يجعلونها عمدة في ذلك، ولا شك أن مسلكهم في ذلك يدل على التزام بمنهج سليم، ينم عن إدراك لما يعتور اللغة أثناء مسيرها من تغير أو تبدل سواء في الأصوات أو البنية أو الدلالة، فكيف يستدلون على شرح بيت جاهلي بقول شاعر محدث، قد يكون أصاب التركيب أو اللفظ لديه تغيير بفعل مرور الزمن؟ وكيف يفسرون القرآن بناء على معطيات لغوية متأخرة عن وقت نزوله بأكثر من مئتي عام؟"[(٣)]، قال الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ):"... فإن استؤنس به ولم يجعل دليلاً لم يرد عليه ما ذكر، ولا ما قيل من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ما

(١) ا الاحتجاج بالشعر في اللغة ص: ٢٤٠

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو (ص٨٠)

(٣) الاستشهاد بشعر المولدين والمعاصرين في المعجم الكبير (ص٣٤)

وقع في كلام علماء المحدثين كالحريري (٤٤٦ – ٥١٦ هـ) وأضرابه، والحجة فيما رووه لا فيما رأوه..." [١].

إن بعض المولدين جدّ في إتقان اللغة، ولكن المعيار الموضوع في الفصاحة لا يسمح بأن يحتج بشعره أو بكلامه، ولو كان بارعا فصيحا، ولغته خالصة مما يشينها من عيوب الكلام والنطق؛ لأن فصاحته مكتسبة، فمن السهل أن ينزلق لسانه، كما يمكن أن يقبل اللحن دون تصحيحه.

لقد اندفع الغيارى لحفظ العربية إثر ظهور بوادر اللحن لصونها من الدخيل والغريب، وإحاطتها بسياج من الضوابط والأحكام حتى لا تتعرض إلى ما يشينها ويفسد أصالتها؛ لأنها تمثل أصالتها وشخصية العرب، ومن ذلك وقع الاهتمام بها، فلم تقم أمة من الأمم بوضع القوانين اللغوية لصون لغاتها مثلما فعلت العرب،... فكان المعيار وضع قوانين مستقاة من السجية (السليقة) التي تنطق العربي بالصواب من غير تعلم، وهذه السليقة هي مهارة لغوية راسخة في نفس صاحبها، تمكنه من الأداء اللغوي الصحيح من غير تعلم [٢].

❁❁❁❁❁

(١) حاشية الشهاب (٤٠٥/١)

(٢)الاحتجاج اللغوي: د. صالح بلعيد (ص٥٠) وينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالته: د. محمد حسن جبل (ص١٤)، دار الفكر العربي، القاهرة (د. ت)

المبحث الثالث: (ماذا) بين التقديم والتأخير

وقع في نظم القاضي أبي الحكم مالك بن عبد الرحمن بن المرحَّل(ت٦٩٩ هـ):"**(كان ماذا)**"، بتقديم (كان) على اسم الاستفهام، فأنكر عليه الأستاذ النحوي أبو الحسن عبيد الله بن أبي الربيع(ت٦٨٨ هـ) جريا على قاعدة النحو في منع تقديم العامل على اسم الاستفهام، فصنف عليه أبو الحكم في جواز ذلك كتابا بيّن أن ذلك مسموع من كلام العرب، وهزأ به، وقال في ذلك شعرا:

عَابَ قَومٌ (كَانَ ماذا) ليتَ شعري لِمَ هَذَا؟

وإذا عابوه جَهْلًا دون عِلْمٍ كَانَ مَاذا؟ [١]

❁ **أولا: ركنا هذه المناظرة هما:**

أَبُو الْحُسَيْن ابْن أبي الرّبيع الإشبيلي(٥٩٩- ٦٨٨ هـ) إِمَام أهل النَّحْو فِي زَمَانه [٢]، و**أَبُو الحَكَمِ مَالِك بن المُرَحّلِ**(ت٦٩٩ هـ)، أَحدُ شُيُوخ أَبي حَيّان الأندلسي(ت٧٤٥ هـ)،" له نظم فصيح ثَعْلَب " [٣]، ومنه ما ذكره الزبيدي(ت١٢٠٥ هـ) في مادة (ف ي د) من معجمه تاج العروس:"... قَالَ ابنُ هِشامٍ اللَّخْمِيّ فِي شَرْح الفصيح: فَيْدٌ: قَرْيةٌ بينَ مكَّةَ والكُوفَةِ،... قَالَ شيخُنا[٤]: وَالْغَالِب على فَيْد التأْنِيثُ...، قَالَ التُّدمريُّ(ت٥٥٥هـ): والاختيارُ

(١) المحاضرات والمحاورات(ص٢٥٥)و أعيان العصر وأعوان النصر(١٨٨/٤)و بغية الوعاة(٢٧١/٢).

(٢) بغية الوعاة(١٢٦/٢).

(٣) السابق(٢٧١/٢).

(٤)الإِمَام اللغويّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن الطّيِّب بن مُحَمَّد الفاسيّ(١١١٠ . ١١٧٠).

فِيهَا عِنْد سيبويهِ(ت١٨٠هـ) عَدَم الانصرافِ[١]،كَمَا قَالَ لَبِيد بنُ ربيعَة(ت٤١هـ):

مُريَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وجَاوَرَتْ أَرضَ الحِجَازِ فأَيْنَ مِنكَ مَرَامُها؟[٢]

وصَرْفُها جَائِز، وَقَالَ ابنُ دُرُسْتويه (٢٥٨ – ٣٤٧ هـ) فِي شرح الفصيح:يَقُول ثَعْلَب(ت٢٩١هـ): لَا يَدْخُل فِي فَيْد حرفُ التعرِيفِ، وَلَا يُقَال فائد.

ثمَّ قَالَ شيخُنا: ورأَى فِي كتب الأَمثالِ أَنَّه يُوجد فِيهَا كَعْكٌ يُضْرَبُ بِهِ المَثَل، ونظَمه شيخُ الأُدباءِ مَالك بن المرحَّل فِي نظمِه للفصيحِ:

وتِلْك فيْدُ قَرْيَةٌ والمَثَلُ فِي كَعْكِ فَيْدَ سائِرٌ لَا يُجْهَلُ"[٣]

وكتاب ابن المرحل في (كان ماذا)، يسمّى بـ «الرّمي بالحصا» [٤]، وجهّله ابن أبي الربيع، وصنف في المنع من المسألة مصنفاً [٥]، قَالَ أَبُو حَيَّان(ت٧٤٥ هـ): وألسنة الشُّعَرَاء حداد؛ وَإِلَّا فَلَا نِسْبَة بَين أبي الرّبيع وَابْن المرحل، فَإِن ابْن أبي الرّبيع مَلأ الأَرْض نَحوا [٦].

---

(١) شرح غريب الفصيح: لأبي العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري الأندلسي(ت٥٥٥هـ)(ص٧٤٤)، تحقيق وتعليق: د. أحمد رجب أبو سالم، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى١٤٤٠هـ=٢٠١٩م.

(٢) البيت من الكامل في ديوانه (ص٣٠١)، ومرة منسوب إلى بني مرة بن عوف، " وفَيْد: مَنْزِلٌ بِطَرِيقِ مَكَّةُ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى؛ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ: قُلْتُ للمؤَرّج: لَمِ اكْتَنَيْتَ بأَبي فَيْدَ؟ فَقَالَ: الفَيْدُ مَنْزِلٌ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، والفَيْدُ: وردُ الزعفران" (لسان العرب: ف ي د)

(٣) تاج العروس (ف ي د).

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة(٣/٢٣٣).

(٥) أعيان العصر وأعوان النصر(٤/١٨٨).

(٦) بغية الوعاة(٢/٢٧١).

❁ ثانيا: تأصيل المسألة:

معلوم أن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبل [(١)]، قال ابن جني(ت٣٩٢ هـ):" ومما نقضت مرتبته المفعول في الاستفهام والشرط فإنهما يجيئان مقدمين على الفعلين الناصبين لهما وإن كانت رتبة المعمول أن يكون بعد العامل فيه، وذلك قوله ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧] فـ ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ﴾منصوب على المصدر بـ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾لا بـ ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾وكذلك قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾[القصص:٢٨]، وقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، فهذا ونحوه لم يلزم تقديمه من حيث كان مفعولًا، وكيف يكون ذلك وقد قال عز اسمه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [النحل:٧٦] [النحل:١١٢] [التحريم:١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾[البقرة:٦٥]، وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦] [المائدة:١٣]، وقال: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[التحريم:٢]، وهو ملء الدنيا كثرة وسعة، لكن إنما وجب تقديمه لقرينة انضمت إلى ذلك وهي وجوب تقدم الأسماء المستفهم بها والأسماء المشروط بها، فهذا من النقض العارض" [(٢)].

وذكر النحاة أن بعض العرب أعمل في الاستفهام ما قبله شذوذًا، كقولهم: "ضرب مَنْ منا؟" وقولهم "كان ماذا؟"[(٣)].

(١) الخصائص(١/٢٠٠).
(٢) الخصائص(١/٢٩٩).
(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية(٤/١١٨).

❁ ثالثا: من الشواهد اللغوية على جواز تقديم العامل على (ماذا):

أ: السنة النبوية:

❖ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ قَالَ: **«فَأَفْعَلُ مَاذَا؟»** قُلْتُ: تَنْكِحُ، قَالَ: «أَتُحِبِّينَ؟»... (١).

❖ ما ورد في الصحيح في سياق حادثة الإفك، قالت عائشة .~ .:"....دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ‘، وَقَدْ صَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَدْ اكْتَنَفَنِي أَبَوَايَ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتِ قَارَفْتِ سُوءًا أَوْ ظَلَمْتِ فَتُوبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ» قَالَتْ: وَقَدْ جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَهِيَ جَالِسَةٌ بِالْبَابِ، فَقُلْتُ: أَلاَ تَسْتَحْيِ مِنْ هَذِهِ المَرْأَةِ، أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا، فَوَعَظَ رَسُولُ اللَّهِ ‘ فَالْتَفَتُّ إِلَى أَبِي، فَقُلْتُ لَهُ: أَجِبْهُ، قَالَ: فَمَاذَا أَقُولُ؟ فَالْتَفَتُّ إِلَى أُمِّي، فَقُلْتُ: أَجِيبِيهِ، فَقَالَتْ: **أَقُولُ مَاذَا؟..."** (٢).

قال ابن مالك(ت: ٦٧٢ هـ):" (ما) الاستفهامية إذا ركبت مع (ذا) تفارق وجوب التصدير، فيعمل فيها ما قبلها رفعًا ونصبًا، فالرفع كقولهم: كان ماذا؟ والنصب كقول أم المؤمنين ~ (أقول ماذا)" (٣).

❖ وفي حديث عَمْرَو بْن الْعَاصِ .ﷺ. وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، ".... فَلَمَّا جعل الله الْإِسْلَام فِي قلبِي، أتيت رَسُول الله ‘ فَقلت: ابْسُطْ يدك فلأبايعك، فَبسط يَمِينه، قَالَ: فقبضت يَدي، فَقَالَ: " مَالك يَا عَمْرو؟ "

(١) صحيح البخاري(٧/١١/٥١٠٦) وتتمته: قُلْتُ: لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِيكَ أُخْتِي، قَالَ: «إِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِي»، قُلْتُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ، قَالَ: «ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي مَا حَلَّتْ لِي، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ».

(٢) صحيح البخاري(٦/١٠٧/٤٧٥٧).

(٣)شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح(ص٢٦١).

قَالَ: قلت: أردْت أَن أشْتَرط. قَالَ: **" تشْتَرط مَاذَا؟ "** قلت: أَن يغْفر لي. قَالَ: " أما علمت أَن الْإِسْلَام يهدم مَا كَانَ قبله، وَأَن الْهِجْرَة تهدم مَا كَانَ قبلهَا، وَأَن الْحَج يهدم مَا كَانَ قبله...(١).

قال الملا علي القارئ (ت: ١٠١٤ هـ):"..... (قَالَ: تَشْتَرِطُ مَاذَا) قِيلَ: حَقُّ " مَاذَا " أَنْ يَكُونَ مُقَدَّمًا عَلَى " تَشْتَرِطُ "؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ، وَهُوَ يَقْتَضِي الصَّدَارَةَ فَحُذِفَ " مَاذَا "، وَأُعِيدَ بَعْدَ (تَشْتَرِطُ) تَفْسِيرًا لِلْمَحْذُوفِ، وَقِيلَ: كَأَنَّهُ –ﷺ – لَمْ يَسْتَحْسِنْ مِنْهُ الِاشْتِرَاطَ فِي الْإِيمَانِ، فَقَالَ: أَتَشْتَرِطُ؟ إِنْكَارًا، فَحَذَفَ الْهَمْزَةَ ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: مَاذَا؟ أَيْ مَا الَّذِي تَشْتَرِطُ، أَوْ: أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَرِطُ؟..."(٢).

- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ، فَقَالَ: هَذَا فُلَانٌ – أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْمَدِينَةِ – يَدْعُوكَ لتَسُبَّ عَلِيًّا عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ: **أَقُولُ مَاذَا؟** قَالَ: تَقُولُ لَهُ: أَبُو تُرَابٍ... (٣).
- عَنْ أَبِي السَّائِبِ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ سَمِعْتُ تَحْتَ سَرِيرِهِ تَحْرِيكَ شَيْءٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ، فَقُمْتُ، فَقَالَ

(١) الجمع بين الصحيحين للحميدي(٣/٤٢٤/٢٩٢٣) والرواية في صحيح مسلم(١/١١٢/١٢١):"... قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي،..".

(٢) مرقاة المفاتيح(١/١٠٢).

(٣) صحيح ابن حبان(١٥/٣٦٨/٦٩٢٥) وتتمته:، فَضَحِكَ سَهْلٌ فَقَالَ: وَاللَّهِ، مَا سَمَّاهُ إِيَّاهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ‘ مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ، دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ‘ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ »، قَالَتْ: هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ‘، فَوَجَدَ رِدَاءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ‘ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَيَقُولُ: «اجْلِسْ أَبَا تُرَابٍ» وَاللَّهِ مَا كَانَ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ مَا سَمَّاهُ إِيَّاهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ‘.

أَبُـو سَـعِيدٍ: مَـا لَـكَ؟ قُلْـتُ: حَيَّـةٌ هَاهُنَـا، قَـالَ: **فَتُرِيـدُ مَـاذَا؟** قُلْـتُ: أَقْتُلُهَا... [(١)].

ب: الشعر:

قال بُهْلُول بن عمرو الصيرفي(ت نحو ١٩٠ هـ):

هَب أنَّك قد ملكت الأَرْض طرا ودان لَك الْعباد فَكَانَ مَاذَا؟

أَلَيْسَ غَدا مصيرك جَوف قبر ويحثوك التُّرَاب هذا ثم هَذَا ؟[(٢)]

ج . كلام العرب في عصر الاحتجاج:

❖ . قَالَ الْعَلَاء بْن زِيَادٍ الْعَدَوِيّ يَسْأَلُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (١٠ ق هـ – ٩٣ هـ): يَا أَبَا حَمْزَةَ بِسِنٍّ أَيِّ الرِّجَالِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ‘ إِذْ بُعِثَ؟ قَالَ: كَانَ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ **كَانَ مَاذَا؟** قَالَ: كَانَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، قَالَ: هَذَا قَوْلُ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَلَمْ يَكُنْ يَقُولُهُ غَيْرُهُ[(٣)].

❖ عن وهب بن مسلم، عن أبيه قال: دخلت مسجد النبي ـ ‘ ـ مع نوفل بن مساحق، فمررنا بسعيد بن المسيب فسلمنا عليه فرد، ثم قال: يا أبا سعيد، من أشعر أصاحبنا أم صاحبكم؟ يريد: عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرّقيّات، فقال له ابن مساحق(ت٧٤هـ): حين يقولان ماذا؟..... [(٤)].

❖ قَالَ الزِّيَادِيُّ (٢٩ – ١١٧ هـ): قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ الْحَضَرَ، فَأَكَلَ فُطْرًا، فَأَصَابَتْهُ الذُّبَحَةُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الطَّبِيبَ نَعَتَ لَكَ أَنْ تَحْلِبَ فِي فِيكَ، فَقَالَ:

(١)حديث صحيح، أخرجه أبو داود في سننه(٤/٣٦٥/٥٢٥٧).

(٢) البيتان من الوافر الجواهر المضية في طبقات الحنفية(٢/٤٥٥).

(٣) الطبقات الكبرى(١/١٩٠).

(٤) الأمالي لأبي علي القالي(٣/١١٤) وتاريخ دمشق(٣٨/٨٧).

مَا زِلْتُ أَسْمَعُ بِاللَّئِيمِ الرَّاضِعِ، لا وَاللهِ لا أَكُونُهُ أَبَدًا، فَقَالُوا لَهُ: فَتَمُوتُ. قَالَ: وَإِنْ مِتُّ؛ فَكَانَ مَاذَا؟[١]

❖ وفي مجمع الأمثال للميداني(ت: ٥١٨ هـ):".... ثم بعث[٢] إلى رجل من إخوانه يقال له خُزَيم بن نَوْفل، فلما أتاه قال له: يا خُزَيم مالي عندك؟ قال: ما يسرّك، وما ذاك؟ قال: إني قتلت فلاناً وهو الذي تراه مُسَجًّى، قال: أيْسَرُ خَطْبٍ، فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تعينني حتى أغيبه....."[٣].

د . لغة العلماء:

مما يستأنس به كلام اللغويين الثقات، أصحاب الفصاحة والملكة اللغوية، ومن يحتج بأقوالهم وآرائهم:

❖ .يحكى أَن الرشيد ـ¬ . لما جمع بَين أبي الْحسن الْكسَائي(ت١٨٩ هـ) وَأبي مُحَمَّد اليزيدي(١٣٨ – ٢٠٢ هـ) ليتناظرا عِنْده، علم اليزيدي أَنه يقصر عَنهُ فِي النَّحْو، فَابْتَدَرَهُ وَقَالَ: كَيفَ تَقول: تَمْرَة مُذَنِّبَةٌ أَو مذنبّة [٤]، فَلم يأبه الْكسَائي لقَوْله: بل ظن أَنه قَالَ: بسرة[٥]، فَقَالَ:

---

(١) المجالسة وجواهر العلم(١٣٣/٦).

(٢) سعيد بن النعمان بن صواب العبدي.

(٣) مجمع الأمثال(٧٢/١).

(٤) ذَنَبُ البُسْرَةِ وغَيْرِهَا من التَّمْرِ: مُؤَخَّرُهَا، ومن الْمجَاز ذَنَّبَتِ البُسْرَةُ تَذْنِيباً فَهِيَ مُذَنِّبَةٌ وَكَّتَتْ مِنْ قِبَلِ ذَنَبِهَا، قَالَ الأَصمعيّ: إِذَا بَدَتْ نُكَتٌ مِنَ الإِرْطَابِ فِي البُسْرِ مِنْ قِبَلِ ذَنَبِهَا قِيلَ: ذَنَّبَ وَهُوَ أَي البُسْرُ مُذَنِّبٌ كمُحَدِّثٍ.(تاج العروس: ذ ن ب).

(٥) البُسْرُ: التَمْرُ قبلَ إِرطَابِه لغَضاضَتِه؛ وذلك إِذا لَوَّنَ وَلم يَنْضَج، وإِذا نَضِجَ فقد أَرْطَبَ، والبُسْرَةُ واحِدَتُها، وتُضَمُّ السِّينُ إِتباعاً، يُقَال: بُسْرَةٌ وبُسُرَةٌ وبُسْرَاتٌ وبُسُرَاتٌ وبُسْرٌ وبُسُرٌ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَلَا تُكَسَّرُ البُسْرَةُ إِلّا أَن تُجْمَعَ بالأَلف والتّاءِ؛ لقِلَّةِ هذا المثالِ فِي كَلَامهم، وأَجازَ: بُسْرَانٌ وتُمْرَانٌ، يُرِيدُ بهما نَوْعَيْنِ مِن التَّمْر والبُسْر(تاج العروس: ب س ر).

أَقُول مُذَنِّبَةٌ، فَقَالَ لَهُ: إِذا كَانَ مَاذَا ؟ قَالَ: إِذا بدا الأرطاب من أَسْفَلهَا. فَضرب اليزيدي بقلنسوته الأَرْض، وَقَالَ: أَنا أَبُو مُحَمَّد اليزيدي وَقد أَخْطَأت يَا شيخ، التمرة لَا تذنب وَإِنَّمَا البسرة تذنب، فَغَضب عَلَيْهِ الرشيد، وَقَالَ: أتكتني بمجلسي وتسفه على الشَّيْخ، وَالله إِن خطأ الْكسَائي وَحسن أدبه أحب إِلَيّ من صوابك مَعَ قبح أدبك، فَقَالَ: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، إِن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ، فَأمر بِإِخْرَاجِهِ [1].

❖ ـ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ (ق ٢٠٠هـ) يَدْفِنُ كُتُبَهُ وَيَقُولُ: هَبْ أَنَّكَ قَاضٍ فَكَانَ مَاذَا؟ هَبْ أَنَّكَ مُفْتٍ فَكَانَ مَاذَا؟ هَبْ أَنَّكَ مُحَدِّثٌ فَكَانَ مَاذَا؟[2].

❖ قال الجاحظ (ت٢٥٥ هـ):"... قال لنا: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾[الأعراف:١٣٣] ؟! فافهم عنه تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه قوله: ﴿ءَايَٰتٍ﴾ثم قال: ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾فهل وقفت قطّ على هذه الآيات؟! وهل توهّمت تأويل قوله: هذا آية وغير آية؟! وهل وقفت على فصل ما بين الآية وغير الآية، وإذا كانت مفصّلات **كان ماذا**، وإذا لم تكن مفصلات **كان ماذا**، فافهم قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾ وما في الأرض أنقص معرفة وعلما، ولا أضعف قوة وبطشا، ولا أوهن ركنا

(١) وَلَيْسَ سَهْو الْكسَائي فِيمَا أزلقه فِيهِ اليزيدي مِمَّا يقْدَح فِي فَضله، أَو يُنبئ عَن قُصُور علمه، إِذْ لَا خَفَاء باشتمال علمه، على أَن البسرة إِذا ارطبت من قبل ذنبها قيل لَهَا: مذنبة، فَإِذا بلغ الإرطاب نصفهَا قيل لَهَا **مُجَزِّعة**، فَإِذا بلغ ثلثيها الإرطاب قيل لَهَا: **حُلْقانَـةٌ** ومُحَلِّقنة، وَإِذا أرطبت جَمِيعهَا قيل لَهَا: **مَعْوةٌ** (درة الغواص في أوهام الخواص(ص٥٠).

(٢) حلية الأولياء(٢٢٧/٨) وطبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها(٢٣/٢).

وعظما من ضفدع. فقد قال– كما ترى:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾.."[(١)].

❖ ـ قال ابن جني(ت٣٩٢ هـ):" فإن قيل: فكيف عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول، ولم يعبروا عنها بالكلام، ولو سووا بينهما أو قلبوا الاستعمال، كان ماذا؟"[(٢)]، وقال: " فإن قِيلَ: فَكَيْفَ عبَّروا عَنِ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْآرَاءِ بالقَوْل وَلَمْ يُعَبِّرُوا عَنْهَا بِالْكَلَامِ، وَلَوْ سَوَّوْا بَيْنَهُمَا أَو قَلَبُوا الِاسْتِعْمَالَ فِيهِمَا **كَانَ مَاذَا؟** فَالْجَوَابُ: أَنهم إنما فَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ كَانَ القَوْل بِالِاعْتِقَادِ أَشبه مِنَ الْكَلَامِ...،"[(٣)].

❁❁❁❁❁

(١) الحيوان(٢٨٨/٥).

(٢) الخصائص(٢١/١).

(٣) الخصائص(٢١/١) والمحكم والمحيط والأعظم(٥٦١/٦) ولسان العرب(ق ول)، وتتمة الكلام:"، وَذَلِكَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ لَا يُفْهَم إِلَّا بِغَيْرِهِ وَهُوَ الْعِبَارَةُ عَنْهُ كَمَا أَن القَوْل قَدْ لَا يتمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِغَيْرِهِ، أَلا تَرَى أَنك إذا قُلْتَ قَامَ وأَخليته مِنْ ضَمِيرٍ فإنه لَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ الَّذِي وُضِعَ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَلَهُ؟ لأَنه إنما وُضِع عَلَى أَن يُفاد مَعْنَاهُ مقترِناً بِمَا يُسْنَدُ إليه مِنَ الْفَاعِلِ، وَقَامَ هَذِهِ نَفْسُهَا قَوْل، وَهِيَ نَاقِصَةٌ مُحْتَاجَةٌ إِلى الْفَاعِلِ كَاحْتِيَاجِ الِاعْتِقَادِ إِلى الْعِبَارَةِ عَنْهُ، فَلَمَّا اشْتَبَهَا مِنْ هُنَا عُبِّرَ عَنْ أَحدهما بِصَاحِبِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْكَلَامُ لأَنه وُضِعَ عَلَى الِاسْتِقْلَالِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَمَّا سِوَاهُ، والقَوْل قَدْ يَكُونُ مِنَ المفتقِر إِلى غَيْرِهِ عَلَى مَا قدَّمْناه، فَكَانَ بِالِاعْتِقَادِ الْمُحْتَاجِ إِلى الْبَيَانِ أَقرب وبأَنْ يعبَّر عَنْهُ أَليق".

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختمت به الرسالات، وبعد:

فإنه يطيب لي أن أختتم هذا البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، ومن ذلك ما يلي:

- ـ لكتب التراجم أثرٌ عظيم في إثراء المعجم العربي، ورافد مهم في التوسع الدلالي، يجدر بالباحثين أن يقوموا على تمحيصها ودراستها.
- ـ أهمية إحالات الزبيدي للقارئ بمثل " **فليراجع**" وقد وردت حسب إحصاء الحاسب الآلي (١٩) تسع عشرة مرة، و" **فراجعه**" وقد وردت في (٢٣٧) موضعا، و" **فلينظر**" في (١٥٨) موضعا، و" **فانظره**" في (٧٤) موضعا، إلخ، وهي تحتاج إلى دراسات لغوية تأصيلية توثيقية.
- . أكد البحث على تبحر أهل الأندلس في العلم، وأنه ربما سئل العالم منهم عن المسألة التي يحتاج في جوابها إلى مطالعة ونظر، فلم يحتج إلى ذلك، ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة كما رأينا من ابن حبيش(ت بعد ٦٧٩هـ).
- . (ماذا) لفظ ثنائي الدلالة، حيث يحمل دلالتي الاستفهام والخبر، مع تغير دلالة (ذا) حسب السياق بين أن تكون اسم إشارة، أو اسم موصول، أو صلة (ملغاة).
- ـ الملمح الدلالي بين (ما) الاستفهامية و(ماذا) أن كليهما يستعمل للاستفهام، إلا أن (ذا) مؤكدة للاستفهام.
- ـ وردت (ماذا) في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعا، ولفظها للاستفهام عند جمهور اللغويين، إلا ابن حَبيش(٦١٥ – بعد ٦٧٩ هـ) استشهد بقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾[يونس:١٠١] على أن (ماذا) للتكثير،

وأضاف غيره قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠]" قال بعضهم: إنها تقتضي التكثير،... وقال بعضهم: إنما يكون التقليل.

- ❁ . استشهد ابن حبيش بحديث واحد، ورد في صحيح البخاري، وهو بهذا يقر الاستشهاد بالحديث النبوي.
- ❁ ـ استعمل ابن حبيش مصطلح (**الصحاح**) إشارة منه إلى حجيتها في اللغة، وقد أطلقت على" **الكُتُبِ السِّتَّةِ** وهي: صحيح البخاري(ت٢٥٦هـ) ومسلم(ت٢٦١هـ) وأبي داود (ت٢٧٥هـ) والترمذي (ت٢٧٩هـ) والنسائي (ت٣٠٣هـ) وابن ماجة (ت٢٧٢هـ)"، وأرى أن نحتج بما صح سندا في الكتب الستة وغيرها من دواوين السنة.
- ❁ ـ ذكر ابن حبيش أن العلماء "قد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما في الحماسة"، وهذا الإجماع محل نظر؛ نظرا لورود شعر لمولّدين كمسلم بن الوليد(ت٢٠٨هـ)،كما ورد فيها شعر مجهول النسبة، وهذا أمران اختلف العلماء فيهما من حيث الاستشهاد، مع أن العلماء قد أبانوا عن مكانة الحماسة فعدوه أفضل كتاب مَجْمُوع من شعر الْعَرَب.
- ❁ ـ استشهد ابن حبيش بأربعة عشر شاهدا، منها سبعة يستشهد به اتفاقا، وثلاثة مجهولة النسبة، وشاهدان لأحد المولدين هو أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ – ٣٥٤ هـ) وشاهدان للمتأخرين، والذي يقبل منها استشهادا الأول، والثلاثة أخرى للاستئناس.
- ❁ ـ اختار البحث أن أقوال المولدين المشهود لهم بالفصاحة والدراية اللغوية تذكر للاستئناس والتمثيل، أو لإيضاح المعنى وتأييده، لا للاحتجاج.

- ـ الاستفهام في بعض هذه الشواهد حمل دلالة التهويل والتفخيم والتعجب.
- ذكر البحث أربعة شواهد من السنة الصحيحة الإسناد على إعمال ما قبل (ماذا) فيها الرفع والنصب، وكلها جاءت مفعولا لما قبلها، كما ذكر أربعة شواهد من كلام العرب في عصر الاحتجاج، واستأنس بكلامٍ للغويين الثقات.
- كان لإحدى هاتين المناظرتين أثر في المعجم، حيث ذكر الزبيدي دلالة التكثير لـ(ماذا) بناء على هذه المناظرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت بأهم المراجع والمصادر

الإتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الاحتجاج اللغوي: د. صالح بلعيد، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

الاحتجاج بالحديث النبوي في النحو العربي: د. التواتي بن التواتي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع (١٠) س(٥) ذو الحجة ١٤٣٠هـ = ديسمبر ٢٠٠٩م

الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالته: د. محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة (د. ت)

الاستدراك على المعاجم في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس: د. محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت)

الاستشهاد بشعر المولدين والمعاصرين في المعجم الكبير: د. أحمد بن محمد الضبيب، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد التاسع، السنة الخامسة، جمادى الثاني ١٤٣٠هـ = جوان٢٠٠٩م.

الاقتراح في علم أصول النحو: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق وتعليق: أ. د/ حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة السادسة ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.

أهدى سبيل إلى علمي الخليل: الدكتور محمود مصطفى (ت ١٣٦٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

البحث اللغوي عند العرب: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الثامنة ٢٠٠٣م.

تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي هلالي، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.

التحرير والتنوير= «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

تقريب النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عادل إبراهيم محمد رفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٣هـ.

الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت(**د.ت**).

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

الخصائص: صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، سلسلة الذخائر تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة ع (٢١٦) سنة ٢٠١٣م.

الشاهد النحوي: د. أحمد مطلوب، مجلة المجمع العلمي، بغداد، عدد خاص بلغة الضاد، (ج٤) ٢٠٠١م.

شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ): يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، دار القلم – بيروت(د.ت)

شرح ديوان الحماسة: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١ هـ)، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

شرح ديوان المتنبي: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت.

شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الأول: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفليلي (ت: ٤٤١هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

شرح غريب الفصيح: لأبي العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري الأندلسي(ت٥٥٥هـ)، تحقيق وتعليق: د. أحمد رجب أبو سالم، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى١٤٤٠هـ=٢٠١٩م.

الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

شواهد التاج: د. عبد العزيز سفر، ندوة تاج العروس، المنعقدة بتاريخ (٩.١٠ فبراير ٢٠٠٢م) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت ٢٠٠٩م، نسخة مجانية توزع مع العدد٣٦٥ من سلسلة المعرفة يوبيو٢٠٠٩م.

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري): يوسف البديعي الدمشقي (ت: ١٠٧٣هـ)، المطبعة العامرة الشرفية، الطبعة الأولى، ١٣٠٨ هـ

القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

كشاف اصطلاحات الفنون: للشيخ العلامة محمد علي بن علي بن محمد التهانوي(ت بعد ١١٥٨م)، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تح / عبد الرازق المهدي، دار الإحياء التراث، بيروت.

كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء . المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

الكشف والبيان عن ماءات القرآن: لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار(ت٥٦٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م.

لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، دار صادر . بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ): تحقيق / علي النجدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٦هـ) تح / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت (د.ت).

معاني القرآن: لأبي زكرياء يحيي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: أ / علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ م.

معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي أسحق إبراهيم بن السِّري (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

المعيار في التخطئة والتصويب، دراسة تطبيقية: د. عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠١٢م.

المغني في القراءات: لمحمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان النوزاوازي (ق ٦هـ)، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسى الشنقيطي، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرسائل العلمية ٤٩، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.

النحويون والحديث الشريف، دراسة في إشكالية الاستشهاد النحوي: صالح أحمد صافار، مجلة الساتل، (ع٢) (س١) يونيو ٢٠٠٧م.

النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت).

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان، الطبعة (١)، ١٩٩٧م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ١٩٩٤م.

❁❁❁❁❁